

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة وهران (السانبا)

قسم علم

كلية العلوم الاجتماعية
الاجتماع

مذكرة لنيل شهادة الماجستير
في علم الاجتماع السياسي

دور الجامعة في بناء الوعي

مقاربة سوسيولوجية حول محددات الوعي
السياسي لدى الطالب الجامعي

تقديم

قصير المهدي

لجنة المناقشة:

الرئيس:
المقرر:
المناقش:
المناقش:

تحت اشراف:

الطالب:
أ.د. العلاوي أحمد.

السنة الجامعية: 2006-2007

الفهرس

الإطار المنهجي و التقني العام

9	1- مقدمة
13 عامة 2- طرح
15 الإشكالية 3- أسباب إختيار
16 الموضوع 4- الهدف من انجاز هذا
17 البحث 5- طرح
19 الفرضيات 6- المنهجية
25 الكبرى 7- صعوبات و عوائق
28 البحث الفصل الأول: I - الإطار النظري العام لمفهوم الجامعة
31 التاريخي I.1- البعد
36 الوظيفي I.2- البعد I.3- الجامعة و
37 المجتمع I.4- الجامعة

40	التنمية..... I.5- الجامعة وبناء
40	الوعي..... أ- مفهوم الوعي (تأصيل
41	نظري)..... ب- دور الجامعة في بناء
	الوعي..... الفصل الثاني: II-الجامعة الجزائرية و
44	طلبتها..... II.1- الإطار
44	التاريخي..... أ- نشأة الجامعة
47	الجزائرية..... ب- إصلاح 1971 و
52	نتائجه..... II.2- الجامعة الجزائرية اليوم و
52	طلبتها..... أ-
55	حجمها..... ب-
57	تطورها..... II.3- دور الجامعة الجزائرية في نشر
	الوعي..... الفصل الثالث: III- محددات الوعي السياسي لدى الطالب
62	الجامعي..... III.1- المحيط الاجتماعي
	للطالب.....

62	أ- الأصل الاجتماعي و الاختيار الدراسي للتطالب.....
72	ب- الأصل الاجتماعي و الوعي السياسي للتطالب.....
77	ج- الأصل الجغرافي و الاختيار الدراسي للتطالب.....
80	د- الأصل الجغرافي و الأصل الاجتماعي.....
83	III.2- المحيط الجامعي الدراسي للتطالب.....
84	أ- الاختيار الدراسي و بناء الوعي.....
91	ب- شعبة الدراسة و الوعي السياسي.....
96	ج- وعي الطالب حول ظروفه الجامعية.....
99	د- الظروف الجامعية و بناء الوعي.....
103	الفصل الرابع: IV- الوعي السياسي و الممارسة السياسية للتطالب IV.1- الطالب و الممارسة السياسية.....
104	أ- الحياد السياسي.....
110	ب- الاختيار السياسي
114	IV.2- الوعي الاجتماعي و الوعي السياسي للتطالب.....
115	أ- وعي الطالب حول

121	مجتمعه..... ب- الوعي السياسي و الوعي
126	الديني..... خاتمة
130	عامة..... الملاحق.....
145	قائمة
146	المراجع..... مراجع باللغة
150	العربية..... رسائل جامعية و
151	وثائق..... وثائق من
153	الانترنت..... مجلات و
	جرائد..... مراجع باللغة
	الفرنسية.....

1- مقدمة عامة.

يتميّز التعليم في المجتمعات المعاصرة بدور أساسي و مكانة خطيرة جعل الاهتمام به على جميع الأصعدة أمرا ضروريا و حيويا لضمان الرقي الحضاري و الثقافي و احتلال مكانة حضارية على المستوى العالمي، حيث يتأسس العالم المعاصر على أبعاد النشاط العلمي و الصراع الفكري بين البلدان و المجتمعات، ممّا جعل التعليم بؤرة حاسمة في تحديد معطيات التقدم و التخلف على المستوى الاجتماعي و الثقافي، و إن التعليم العالي أو الجامعي كمرحلة حاسمة ضمن النظام التعليمي ؛ يعتبر المجال الأكثر حيوية و ثقلا في ضبط درجة رقي و تطور كل المجتمعات.

و عليه فإن الجامعات في المجتمعات المعاصرة و خاصة في البلدان المتقدمة تأخذ مكانة أساسية ؛ لما لها من أثر بالغ في حركية المجتمع على المستوى السياسي و الاقتصادي و الثقافي، و هذا على اعتبار أنها مجال مفتوح لنشأة و صراع مختلف التيارات الفكرية، و كمؤسسة تتخرج منها الإطارات القادرة على قيادة المجتمع، و صياغة مشاريعه و تحديد مساراته. و تبعا لوظائف و خصوصيات الجامعة فإننا نطرح من الناحية السوسولوجية إمكانية و ضرورة البحث في طبيعة و شكل العلاقة بينها و بين مختلف المؤسسات الاجتماعية و الاقتصادية الأخرى، و كذا شكل العلاقة بينها و بين نظام القيم و السلوكات الاجتماعية السائدة داخل المجتمع.

إن مهمة الجامعة تجاه المجتمع – ضمن تلك العلاقة – تتحدد في إبراز العناصر التي تحرك نظام المجتمع و تعطيه الصبغة المميزة له، حيث يبن

ذلك (Guy – Michaud)) عندما تساءل: "ماذا تريد الجامعة إذا لم تكن لوعي المجتمع، وإذا لم تستطع إتيابه و نقده"⁽¹⁾.

و بذلك فإن تزايد مكانة و حجم التعليم العالي في الجزائر يدعو مختلف الباحثين و علماء الاجتماع على الخصوص إلى تكثيف الأبحاث و الاهتمام أكثر بالجامعة التي تعتبر كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية، و إنتاج الرأسمال المعرفي و الثقافي و تخريج الإطارات ذات الكفاءة العالية للمساهمة في تطوير و ازدهار المجتمع على كافة الأصعدة، وهذا ضمن الدور و المكانة التي حددها (Guy – Michaud) للجامعة داخل المجتمع.

و ضمن الارتباط السابق بين الجامعة و المجتمع نرى أن الطالب الجامعي يشكل حلقة الأساسية و البارزة، و هذا من خلال ما يتلقاه من تكوين و ما يتشبع به من أفكار، و ما يتبناه من مواقف تجاه قضايا المجتمع المختلفة، حيث أن الجامعة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية لا تكتفي بدورها الرسمي فقط في التكوين و التعليم، بل تتعدى ذلك إلى تزويد طلابها بالأفكار و المواقف التي تجعلهم قادرين على إتياب المجتمع و نقده، أي أنها تمثل حقلًا معرفيًا و إيديولوجيًا لتبادل الأفكار و إحداث الحركة الاجتماعية التي تلعب دورًا في بناء الوعي لدى الطلاب، و هو موضوع البحث الذي نحن بصددده.

و نعتمد في بحثنا هذا على فكرة عامة مفادها دراسة و فهم طبيعة ذلك الارتباط بين الجامعة و المجتمع من خلال الطالب الجامعي ، و في الإطار الذي حدده ((Guy – Michaud) للجامعة و هو وعي المجتمع، إتيابه و نقده، كما ذكرنا سابقًا، و بمعنى آخر سنحاول أن ندرس في بحثنا هذا

¹ -1 Guy-Michaud عن : هامل محجوبة - و - بلحميداش عبد الله - الخطاب الطلابي - مذكرة ليسانس في علم الاجتماع - السنة الجامعية 1987 - 1988 - ص 16.

أحد العوامل الحاسمة في تحديد الصيغة أو الشكل الذي تعي به الجامعة مجتمعها و تستوعبه، و بالتالي تعمل على نقده، إنه الوعي الطلابي، و بتحديد أكثر دقة الوعي السياسي الطلابي.

و لكن لماذا الوعي السياسي بالذات؟ إنه - حسب رأينا - من بين أشكال الوعي الأكثر تعبيراً عن البنية الإيديولوجية للجامعة و أبعادها الاجتماعية و الثقافية.

ندرس في بحثنا هذا موضوع دور الجامعة في بناء الوعي السياسي لدى الطلبة و البحث عن محددات هذا الوعي اعتماداً على معطيات ميدانية تأخذ بالتساؤل حول المواقف السياسية المختلفة للطلبة سواء بالتعبير المباشر أو عن طريق التحليل و الملاحظة، و هذا ضمن الفهم العام لدور الجامعة و مكانتها في المجتمع، حيث يعتمد ذلك على التحليل النظري لتاريخ الجامعة و وظيفتها.

و قد تمحور بحثنا حول مقدمة عامة و أربعة فصول و خاتمة عامة بالإضافة إلى فهرس عام و ملاحق و قائمة للمراجع باللغتين و قبل ذلك تحديد الإطار المنهجي و التقني العام في بداية هذا البحث.

يتضمن الإطار المنهجي و التقني العام، صياغة الإشكال العلمي للبحث و طرح الفرضيات و تحديد المنهجية الكبرى للبحث إلى جانب الهدف العام و عوائق البحث، أما الفصل الأول فقد درسنا فيه الإطار النظري العام لمفهوم الجامعة من خلال بعدها التاريخي و الوظيفي، حيث نشرح مفهوم الجامعة و تاريخ ظهورها و تطورها عبر العالم ثم تطرقنا إلى علاقتها بالمجتمع من خلال دورها في التنمية، كما قمنا بتحليل دورها في بناء الوعي لدى المنتسبين إليها، و لكن شرحنا قبل ذلك مفهوم الوعي و أبعاده.

و في الفصل الثاني تحدثنا عن تاريخ الجامعة الجزائرية و تطورها من حيث الحجم و الوظيفة، خاصة بعد إصلاح 1971 و نتائجه، كما حللنا دورها في نشر الوعي في أوساط الطلبة.

أما الفصلين الثالث و الرابع فهما محصلة للبحث الميداني من خلال تحليل معطيات و جداول و وضع قراءة سوسولوجية لكل ذلك، حيث يتعلق الفصل الثالث بتحليل محددات الوعي السياسي لدى الطالب الجامعي من خلال دراسة معطيات المحيط الاجتماعي للطلاب المتمثلة في الأصل الاجتماعي و الأصل الجغرافي و معطيات المحيط الجامعي و الدراسي للطلاب المتمثلة في شعبة الدراسة و ظروف الحياة الجامعية بالنسبة للطلاب.

أما الفصل الرابع فيتعلق بالتحليل السوسولوجي لكيفية تبلور الوعي السياسي لدى الطالب من خلال دراسة شكل الممارسة السياسية للطلاب بين المشاركة و الحياد، ثم تحليل علاقة الوعي السياسي بأشكال الوعي الأخرى مثل الوعي الاجتماعي و الوعي الديني، ثم توجهنا بحثنا بخاتمة عامة تتضمن حوصلة لمضامين القراءة السوسولوجية لطيات الفصول الأربعة و هي استنتاجات عامة تتمحور حول موضوع البحث و تفتح أفاقا منهجية لإمكانية توسيعه إلى تشعبات أخرى تجعل منه إشكالا جاهزا لدراسة أكثر عمقا و شمولية قد تكون موضوع بحث مستقبلي.

2- طرح الإشكالية:

مما لا شك فيه أن دراسة موضوع الجامعة و بناء الوعي لدى الطالب الجامعي يتركز أساسا على فهم التنازع القائم بين نظريتين سوسولوجيتين حول تفسير التغيرات الأساسية التي تحكم مسار ثقافة الطالب و مواقفه و مصيره البيداغوجي، وهما النظرية **الثقافية التحديدية** و النظرية **الحركية** ⁽¹⁾ (الفردية الجديدة)، حيث تأخذ الأوليين الاعتبار ماضي الأفراد و التباين الثقافي بين مختلف الطبقات و الشرائح الاجتماعية، حيث كل طبقة اجتماعية يوافقها نظام من القيم و ثقافة فرعية تميزها عن غيرها. فعند الطبقة البورجوازية حيث تسود قيم المجهود و العقلانية يصبح التعليم العالي وسيلة للنجاح و تحقيق الذات، بينما عند الطبقات الدنيا لا يلعب التعليم بصفة عامة دورا مميزا باعتبار ما يسود تلك الأوساط من معتقدات " جيرية " تساهم في الحد من المبادرة الشخصية نحو الارتقاء الاجتماعي.

و هذا ما عبر عنه **(سوروكين)** و **(بارسونز)** و **(بورديو)** و آخرون؛ أما النظرية الثانية التي يمثلها **(ريمون بودون)** فإنها تعارض بشدة تلك المسابقات الثقافية و تعطي مقابل ذلك دورا أساسيا للمشروع الفردي و المستقبل المأمول حيث لا يتخذ الأفراد مواقفهم وفق حتميات اجتماعية و ثقافية، و لكن تكون القرارات وفق إرادات فردية تخضع لمفهوم حساب التكلفة جنبا إلى جنب مع مفهوم العائد أو الفائدة.

و عليه فإن صياغة الإشكالية الكبرى لبحثنا هذا تنطلق من الأخذ بالاعتبار كل من النظريتين على حدا و لكن دون الإهمال أننا نعتمد أساسا

²1- J.P Durand et Robert Weil – sociologie contemporaine – ed : vigot – paris –1993. 644 pages

على التحليل الوظيفي، كما سنوضحه أكثر عند الحديث عن المنهجية الكبرى للبحث.

و من هنا فإن دور الجامعة في صياغة الوعي الطلابي لا يمكن تصوره بمعزل

عن عناصر اجتماعية أخرى، كالأصل الاجتماعي و ظروف "التربية" التي
للطالب، كما أن هذه العناصر - كما نرى - لها تأثيرات متباينة بين شخص و
آخر حسب نظام الأطر السائدة، و بمعنى آخر فإن الجامعة تمثل حسب رأينا
مجالا تنصهر فيه القيم المكتسبة مسبقا و تتبلور ضمن تعبيرات و صيغ
سلوكية جديدة قد تتوافق و قد تتباين مع ما هو سائد خارج الحقل الجامعي،
دون إهمال الإرادات الفردية التي تدمج الاجتماعي العام بالبنية النفسية و
الشخصية للفرد.

فالمحيط الاجتماعي للطلاب يمثل منطلق لصياغة مواقف سياسية و
اجتماعية تلعب الجامعة دورا في صياغتها و بلورتها وفق نظامها السائد؛ حيث
هي مؤسسة ذات هيكل قيمي خاص و حركية ذاتية قد تسير حركية المجتمع
و قد تتعارض معها أحيانا أخرى، حيث أن النظام الجامعي لا ينحصر دوره
فقط في إعداد الطلبة للتحصيل على مهنة محددة، بل يؤدي أدوارا أخرى قد
تبلغ " **حد الإسهام في بناء الدولة الوطنية الحديثة، و ذلك
بواسطة تعصير قوى الإنتاج و تنميتها، و كذلك بالعمل على نشر
الوعي عقلنة العلاقات الاجتماعية** " (1)، كما عبر عن ذلك أحد الباحثين و
هكذا فإن بناء الإشكال العلمي لهذا البحث ينطلق من خلال التساؤل عن شكل و

³ 1- محمد مهدي المسعودي- مكانة الإنتاج الجامعي في الثقافة الوطنية - سلسلة علوم التربية عدد 3 تونس 1992 ص 147.

كيفية تفاعل عناصر مختلفة داخل الحقل الجامعي، تلعب دورا أساسيا في صياغة الوعي الطلابي و تكون قابلة للملاحظة و التحليل السوسولوجي، فما هو إذن دور الجامعة في ذلك ؟ و كيف تتم عملية دمج العناصر المختلفة لتجعل من الوعي الطلابي ثقافة سياسية متميزة كنتاج و عصاره للحقل الجامعي ؟ و قبل ذلك ما هي أولا العناصر التي تؤثر مباشرة و بشكل وظيفي في بناء الوعي السياسي لدى الطالب الجامعي، و ما هي المحددات الاجتماعية و البيداغوجية لبناء وعي سياسي طلابي ؟ و إلى أي درجة تتوافق أو تتفارق (تختلف) المواقف و القيم السياسية للطالب الجامعي عن القيم و المواقف السياسية السائدة لدى عامة أفراد المجتمع ؟.

أ- أسباب اختيار الموضوع :

إن أسبابا ذاتية و أخرى موضوعية قد دفعتنا بقوة إلى اختيار هذا الموضوع و تناوله بالبحث و الدراسة، و هذا رغم الصعوبات المنهجية و العوائق الاستمولوجية التي أحاطت بظروف عملنا، و بذلك فإننا نتحدث على مستويين للاختيار :

أ- المستوى الذاتي:

و يتناول أساسا القرب من ميدان البحث و نقصد بالقرب كل أبعاده النفسية و الموضوعية، حيث أن الباحث الاجتماعي يجد سهولة في التعامل مع فئة مثقفة مثل الطلبة كعينة للبحث خلافا لفئات أخرى، حيث تسود مواقف الشك و الريبة من كل مقابلة و استبيان ينجزها شخص لا يعرفه المبحوث، و إلى هذا نضيف أننا كعضو في هذه المؤسسة الاجتماعية و العلمية و هي الجامعة، يراودني الهمّ المعرفي السوسولوجي لفهم و تحليل مستويات الوعي السياسي لدى الطالب الجامعي الذي يمثل بالنسبة لمجتمعنا إطارا مستقبليا يساهم في تنميته و تطويره للخروج من عزلة

التخلف إلى الرقي الحضاري و الثقافي، و من جهة أخرى فإنني أملك رغبة كبيرة لجعل الجامعة موضوعا لعلم الاجتماع السياسي و هو ما تجتنبه الكثير من الأبحاث و الدراسات في هذا الميدان.

ب- المستوى الموضوعي:

و هو إثراء البحث العلمي في ميدان علم الاجتماع السياسي و المساهمة في التراكم المعرفي حول موضوع الجامعة، مع المساهمة في إثارة إشكاليات بحث سوسيولوجي قد تفتح النقاش و اسعا حول مكانة الجامعة كمؤسسة قابلة للبحث على أوجه متعددة من حيث دورها و مكانتها و وظيفتها داخل المجتمع؛ و هذا كله جزء من المساهمة في البحث الأكاديمي كنقطة انطلاق نحو آفاق جديدة للتطور العلمي في الجزائر.

4- الهدف من انجاز هذا البحث :

تؤكد لنا الملاحظة الأولية المباشرة أن الجامعة في المجتمع الجزائري لا تقع -إن صح التعبير- تحت مظلة الأنوار الساطعة، و ينسحب ذلك على زبائنها من طلبة و أساتذة، و لهذا تأتي هذه المحاولة العلمية البسيطة مثل نقطة العبور نحو فضاء واسع من الاستيعاب و القراءة، فهدفنا هو تحويل إشكالية أولية لجعل الجامعة بؤرة توتر علمي ننطلق منها لبداية تأسيس معرفي يتأصل شيئا فشيئا لأننا دون ذلك كيف يمكننا دراسة ظواهر اجتماعية أخرى إذا كانت جامعتنا معزولة و مهمشة علميا !؟.

فالأولى دراسة هذه المؤسسة و فهم آليات حركتها و فعلها، و مواقف أعضائها (طلبة، أساتذة، عمال... الخ)، و تفاعلهم، ثم الانطلاق منها لدراسة المجتمع ككل بمختلف ظواهره، و هذا في إطار المفهوم السابق الذي حدده (Guy – Michaud)؛ و على ذلك فإن دراستنا هذه تعتمد على تحليل

موسع و أكثر عمقا لبحث سبق إنجازه في إطار تحرير رسالة التخرج لنيل شهادة الليسانس في علم الاجتماع؛ حيث أن هدفنا هو تحقيق التراكم المعرفي من خلال إثراء موضوع بحثنا من كل جوانبه معتمدين في ذلك على عناصر مفتاحية هي أساس العمل و التحليل عبر طيات هذه الرسالة ممثلة في المفاهيم التالية : **الجامعة، الوعي، الوعي السياسي، المواقف السياسية، الحياد السياسي، المشاركة السياسية، الطالب الجامعي، الانتماء السياسي،** و أخيرا فإننا نعتبر هذه المساهمة محاولة منا لاستثمار عارف سوسيولوجية تلقيناها عبر مدرجات الجامعة بسنينها المنتجة، و تحويلها إلى إنتاج سوسيولوجي علمي قابل للتواصل و الانتقال من جيل طلابي إلى آخر.

فيكون لهذا التواصل الفكري بعدا تراكميا حضاريا يؤرخ لمراحل انتقال علمي من مستوى إلى آخر في إطار تبادلي تمحي معه كل التصنيفات المبتسرة و يستمر الرمز؛ حيث يقول - **ماكس فيبر** - " **إن المدلول الوحيد لكل إنجاز علمي هو إثارة أسئلة جديدة حيث أن هذا الإنجاز محكوم عليه بأن يتجاوز الزمن، فعلى من يريد خدمة العلم أن يسلم أمره إلى هذا القدر، و لا تحتفظ الإنجازات العلمية بأهمية دائمة إلا كمتعة جمالية أو أداة بيداغوجية** "

التحضير لبحث جديد ⁽¹⁾ و على هذا فإن فصول هذه الدراسة هي ثمرة ممارسة سوسيولوجية تعتمد على تقنيات منهجية ميدانية و على التحليل النظري الموسع، و تم صياغة ذلك في فرضيتين علميتين :

5- طرح الفرضيات :

⁴¹- Max Weber – Le savant et le politique – Ed : E.N.A.G, Alger 1991 – P : 18.

أ- يتفق علماء الاجتماع على أن المحيط الذي يعيش فيه الفرد له تأثير بالغ على صياغة أفكاره و سلوكاته و مواقفه، و يمثل هذا المحيط فضاء ان :
 الأول فضاء اجتماعي طبقي و الثاني فضاء اجتماعي جغرافي حيث نغني بالأول الأصل الاجتماعي المهني الذي يؤثر على شخصية الفرد حسب انتمائه الطبقي، حيث ردود الأفعال و الاختبارات و المواقف و السلوكات تظهر على شكل ثقافة طبقية مكتسبة من خلال ظروف المعيشة الاجتماعية، فقد لاحظ **(بودون) و (بوريكو) أن " التفاوت يميل إلى التراكم، فالذين يتحدرون من عائلات متواضعة لديهم حظوظا أقل في التوصل إلى مستوى تعليمي عال، و العكس بالعكس"⁽¹⁾.**

و نغني بالفضاء الاجتماعي الجغرافي أن المنطقة الجغرافية التي يعيش فيها الفرد - بغض النظر عن انتمائه الطبقي - تشكل مجالا ثقافيا مشتركا يؤثر في سلوكات الأفراد، حيث يمكننا الملاحظة بسهولة أن عادات و تقاليد المناطق الجنوبية تختلف عنها في المناطق الشمالية و نفس العامل بالنسبة للشرق و الغرب و هكذا تكون سلوكات و مواقف الأفراد مختلفة تبعا لذلك.
 بهذا فقد أسقطنا هذا التحليل على موضوع بحثنا حيث نعتبر أن المحيط الاجتماعي و العائلي (الأصل الاجتماعي و الأصل الجغرافي) للطالب يعتبر محددًا لصياغة الوعي السياسي و مؤثرا في بناء المواقف و السلوكات تجاه القضايا السياسية، و لكن هذا التأثير يخضع في النهاية لمعطيات الحياة الجامعية و ظروفها؛ حيث تعتبر الجامعة مجتمعا مصغرا يصيف سلوكات

مستمدة من المحيط الذي نشأ فيه إلا أن هذا الوعي يكون مصبوغا بطابع

⁵1- ر. بودون - و - ف. بوريكو - المعجم النقدي لعلم الاجتماع - ترجمة سليم حداد - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - ط 1 - ص 173.

المجال الجامعي الذي ينتمي إليه الطالب؛ على اعتبار أن الجامعة تزود أفرادها بثقافة سياسية إضافية تساهم في أخذ مواقف و ممارسة سلوكيات قد تختلف عن أفراد المجتمع خارج الحقل الجامعي.

ب- تشكل الجامعة مؤسسة اجتماعية لها نظام مميز يؤثر مباشرة في أعضائه في علاقة متداخلة حيث يساهم هؤلاء الأعضاء خلال تفاعلهم في تشكيل هذا النظام، و في نفس الوقت يكونون عرضة للتحرك و الفعل وفقه؛ و عليه فإننا نرى أن المحيط الجامعي الدراسي للطالب له تأثير مباشر في بناء و صياغة الوعي السياسي للطلبة، حيث ظروف اختيار الطالب أو الطالبة لهذه الشعبة أو لتلك، و ما يصاحب هذا الاختيار من تطلعات مهنية مستقبلية، بالإضافة إلى طابع الشعبة الدراسية من حيث المحتوى و البرنامج الزمني و البيداغوجي؛ قد تلعب هذه العناصر المجتمعة دورا حاسما في بلورة و تشكيل الوعي السياسي و كيفية التعبير عنه، و هذا بالإضافة إلى عامل آخر يتمثل في الظروف التي يعيشها الطالب داخل الجامعة و التي تكون دوما عرضة لتيارات فكرية و سياسية متصاعدة، حيث يتراوح الجو الجامعي بين الاستقرار و التوتر، على أننا لا نهمل هنا مستوى الخدمات التي تقدمها الجامعة لطلبتها، حيث أن مستوى هذه الخدمات من ظروف نقل و إيواء و إطعام و نشاطات ثقافية... الخ، يؤثر في مستوى استيعاب الطالب للأحداث المحيطة به و التفاعل معها؛ و بذلك فإننا نقول أن كل هذه العوامل مجتمعة من شعبة الدراسة و الظروف الموضوعية التي يعيشها الطالب داخل الحقل الجامعي و ما يتبع ذلك من تفاعل بين هذه الظروف، كل ذلك له تأثير بالغ في تشكيل الوعي السياسي لدى الطلبة و كيفيات و أشكال التعبير عن هذا الوعي.

6- المنهجية الكبرى :

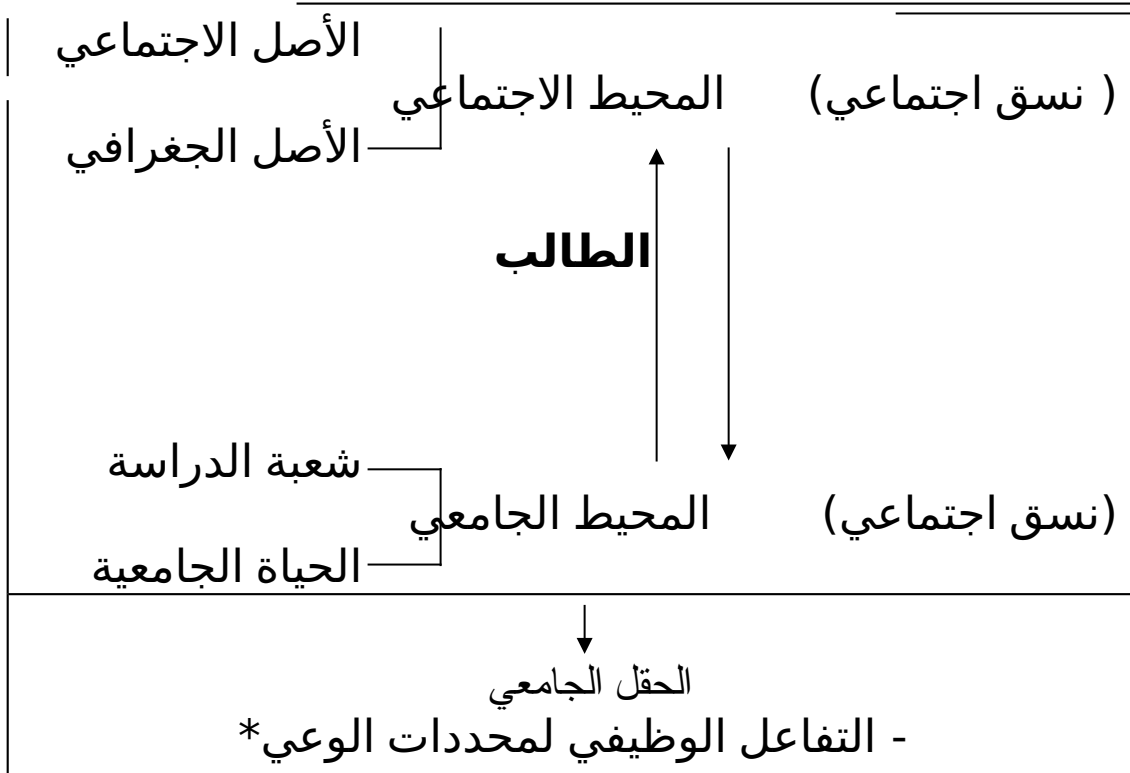
تعني المنهجية مجموعة أسس و مبادئ البحث المنظم لأنها هي المعايير التي في ضوئها و بواسطتها يستطيع الباحث انتقاء الإجراءات و الأساليب الفنية للبحث :

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوظيفي (Le Fonctionnalisme) في التحليل و القراءة، حيث يرى رواد هذا المنهج أمثال (مالنوفسكي، راد كليف براون، بارسونز، و ميرتون)⁽¹⁾، أن المجتمع هو عبارة عن وحدة كلية تتكون من عدة عناصر متكاملة، حيث يؤدي كل عنصر وظيفته، و حيث تتشكل أنظمة متصلة و مكملة الواحدة للأخرى، و بذلك فإن النشاطات و الظروف الاجتماعية قد تساعد على تطوير و نمو النظام الاجتماعي أو قد تقف موقفا معاكسا لنموه و تطوره، فالجامعة كمؤسسة اجتماعية أو وحدة اجتماعية، أي مجتمع مصغر لها نظام متناسق تسييره عدة عناصر مثل : الطلبة - الأساتذة - الإدارة - ظروف الدراسة...الخ.

و هذه العناصر تتفاعل فيما بينها اعتمادا على مبدأ الوظيفة، و هذا بالإضافة إلى المجتمع كمؤسسة كلية لها علاقة بالجامعة، و قد فسر (مالنوفسكي) المؤسسات الاجتماعية بالنسبة لعلاقتها بالمؤسسات الأخرى في المجتمع الواحد⁽²⁾، و عليه فاعتمادا على تحليل النموذج الذي بين أيدينا نلاحظ أن محددات الوعي السياسي لدى الطالب هي عناصر أو أنساق اجتماعية تتفاعل فيما بينها داخل الحقل الجامعي لتؤسس نسق القيم السائد عند

¹دينكن ميتشيل - معجم علم الاجتماع - ترجمة إحسان محمد الحسن - دار الطليعة بيروت - ط 2 - ص 103، 104.
² السيد الحسيني - نحو نظرية اجتماعية نقدية - دار النهضة - بيروت - 1985 - ص 118، 119.

الطلبة في مجال الثقافة السياسية، فالمحيط الاجتماعي يتفاعل مع المحيط الجامعي من خلال مفاهيم أساسية هي الدور و الفعل و النسق داخل الحقل الجامعي لبناء نسق القيم السياسية السائدة (Système des valeurs politiques)؛ حيث يشير هذا المفهوم إلى القيم التي يتبناها المشاركون في النسق الاجتماعي، وهذه القيم هي المسؤولة عن التوازن و الوحدة، كما أنها تحقق التماسك و تمنح الفعل الاجتماعي شكلا و تعطيه معنى.



و لا يشير مفهوم التكامل بين وحدات النسق الاجتماعي إلى الكمال المطلق بل يتطلب ذلك الحد الأدنى لاستمرار النسق في أداء وظيفته؛ فالأنساق التي تتفاعل داخل الحقل الجامعي قد تتعارض أحيانا و لكن يجب أن يؤدي كل عنصر وظيفته في التكامل مع عناصر أخرى لاستمرار النظام الجامعي، و هذا الأخير يؤثر في سيرورة تلك العناصر و هو يؤدي وظيفته؛

فالجامعة لها وظيفة أساسية في التكوين و التعليم و نشر المعرفة، و لها بجانب ذلك وظيفة أخرى هي تشكيل التيارات و الأفكار السياسية من خلال كونها مجال لتلاقح هذه الأفكار و تفاعلها ؛ و هكذا تتشكل منظومة القيم السياسية التي عبّرنا عنها بوعي الطالب السياسي، و هنا يمكننا الإحالة إلى مفهوم (R-Merton) عن الوظيفة الظاهرة و الوظيفة الكامنة⁽¹⁾ ؛ فالأولى بالنسبة للجامعة هي التكوين و نشر المعرفة، و الثانية هي صياغة قيم و أفكار و مبادئ سياسية و اجتماعية؛ حيث تعبّر الأولى عن النتائج الموضوعية المتوقعة و الثانية هي النتائج غير المقصودة و غير المتوقعة، و لكنها جزء أساسي من الثقافة السائدة داخل النسق العام و قد ضرب (Merton) مثلا عن الاستهلاك قائلا : " إن الوظيفة الظاهرة للاستهلاك الاقتصادي هي الانتفاع، بينما يعبر تحقيق الهيئة و المكانة الاجتماعية إحدى الوظائف الكامنة لهذا الاستهلاك"⁽¹⁾.

و من هنا فإن الطالب كفرد داخل النسق الجامعي يؤدي دورا يفترض فيه احترام النظام الجامعي، و تلك هي وظيفته بشكل تفاعلي متفتح عكس الدور الآلي ؛ في حين أن النظام الجامعي يمارس وظيفة محددة يرمي منها التكامل مع وظائف أنظمة أخرى كالمجتمع مثلا لتشكيل نسق معين هو نظام القيم الثقافية و الفكرية لأعضاء الأسرة الجامعية ؛ و هكذا فإننا قد صغنا موضوع بحثنا وفق منهجية علمية عبّر عنها (جون ماكينى) بقوله " **المناهج تحاول الإجابة بصفة أساسية على سؤال يبدأ بأداة**

^{8*} رسم توضيحي اعتمادا على فهم و تحليل ذاتي للمنهج الوظيفي و تطبيقه على موضوع البحث الذي بين أيدينا.

1- دينكن ميتشيل - مرجع سبق ذكره - ص 102.

1¹⁰- دينكن ميتشيل - مرجع سبق ذكره - ص 102.

2- عبد الباسط عبد المعطي - البحث الاجتماعي - دار المعرفة الجامعية - القاهرة - 1985 ص 39.

الاستفهام كيف (How)"⁽²⁾، حيث تتساءل عن كيفية تأثير الجامعة في تشكيل و صياغة الوعي السياسي لدى الطلبة ؟ و ما هي الأشكال التي يأخذها هذا الوعي من خلال تفاعل عناصر ثقافية متعددة ؟.

و لتحقيق الغاية العلمية من بحثنا اعتمدنا على تحديد (M-Barron) في كتابه " **علم الاجتماع المعاصر**"⁽³⁾ عمليات المنهج العلمي و هي الملاحظة و الوصف و الاستقراء و الاستنباط، حيث وضعنا جملة من التقنيات و ذلك حسب ما تستدعيه طبيعة الموضوع، فمن الناحية النظرية، أتبعنا منهجية القراءة (التوثيق) من أجل تحديد بعض المفاهيم الأساسية التي ترد في البحث مع محاولة الإطلاع على بعض الدراسات و الأبحاث التي تقترب من موضوع بحثنا مثل الدراسة التي قام بها الباحثان الفرنسيان (P.Bourdieu) و (J.C Passeron) حول الطلبة و الثقافة في فرنسا، عنون (Les héritiers)⁽¹⁾ و كذا بعض التحليلات و المواضيع الواردة في عدد من المجلات و الجرائد المختلفة.

أما فيما يخص الجانب الإجرائي (الميدان) فيجدر بنا التنويه إلى أن دراستنا هذه تعتمد على أسلوب " **إعادة التركيب** " حيث اعتمدنا كعنصر أساسي على معطيات و بيانات واردة في مذكرتنا لنيل شهادة الليسانس المنجزة في شهر جوان 1991 بعنوان " **أشكال الوعي السياسي عند الطلبة**"⁽²⁾، حيث تمَّ استغلال هذا البحث لتوسيع أكثر و الوصول إلى نتائج و تحليلات أكثر عمقا و دلالة، و هذا طبعا إلى جانب العمل الآنني المتعلق مطلقا

¹¹3- M. Barron عن عبد الباسط عبد المعطي - البحث الاجتماعي - مرجع سبق ذكره - ص 24.

بهذه الرسالة حيث اعتمدنا على الملاحظة بالمشاركة وإجراء عدد من المقابلات مع عدد كبير من الطلبة، إلى جانب الحضور من حين إلى آخر في أهم النشاطات و التحركات التي تقام ضمن النشاط الطلابي داخل الجامعة، مثل المعارض و الندوات و المسرحيات و غيرها.

أما فيما يتعلق بعينة البحث فقد اعتمدنا على الاستمارة كتقنية أساسية، و ذلك ربحا للوقت حيث يصعب إقامة عدد كبير من المقابلات مع جميع أفراد العينة و كبير من الأسئلة، كما وظفنا تلك التقنية (الاستمارة) أيضا للحصول قدر الإمكان على مجموعة الأفكار و التصورات الطلابية التي ترتبط بموضوع بحثنا، في شكلها المكتوب و التي تمنحنا الفرصة الكافية للتحليل و الدراسة، حيث وظفنا هنا تقنية تحليل المضمون لقراءة محتويات التصريحات المختلفة و استقرار مضمون الجداول الإحصائية.

تحتوي استمارة البحث الموزعة على أفراد العينة، حوالي 61 سؤالا مقسمة حسب علاقتها بالفرضيات المذكورة سابقا إلى ثلاثة محاور رئيسية من الأسئلة، حيث يتعلق المحور الأول بالحالة الاجتماعية و العائلية للمبحوثين و يتألف من 18 سؤالا، أما المحور الثاني فإنه يتعلق بشعبة الدراسة و ظروف اختيارها و علاقة هذا الاختيار بعائلة المبحوث، و يتضمن حوالي تسع (9) أسئلة، أما المحور الثالث و الأخير فإن أسئلته الثلاثة و الثلاثون (33) فتدور حول اهتمامات المبحوثين الثقافية و السياسية و علاقاتهم بالمنظمات الطلابية، والأحزاب السياسية، و الجمعيات الخيرية و الثقافية، و أخيرا هناك سؤال مفتوح لا يتعلق بشيء محدد يأتي في آخر الاستمارة، عبارة عن طلب من المبحوث في إضافة شيء لم يسأل عنه في الاستمارة و يراه مهما و مناسباً لمضمون الأسئلة السابقة.

و لوصف عيّنة البحث فقد اخترنا ثلاثة معاهد دراسية مختلفة تتواجد كلها بجامعة " السانيا " بوهران، وهي معهد علم الاجتماع، معهد الحقوق، معهد الإعلام الآلي، أما تحقيقنا الميداني فقد أجريناه مع عينة من مجموع طلبة و طالبات السنة الثالثة من كل معهد من المعاهد المذكورة، حيث اختيرت هذه العينة بشكل عشوائي.

إن التبرير الذي يمكن تقديمه حول اختيارنا هذا ينطلق من طبيعة الاختلاف بين الشعب الثلاث (علم الاجتماع، الحقوق، الإعلام الآلي) من حيث محتواها و طبيعتها، هذا الاختلاف الذي يسهل علينا عملية المقارنة العلمية، فعلم الاجتماع كشعبة دراسية تعتمد من حيث محتواها العلمي و المنهجي على التحليل و النقد للواقع الاجتماعي و لا تأخذه كما هو؛ تختلف بالطبع عن شعبة الإعلام الآلي التي هي شعبة تقنية محضة من حيث برنامجها و محتواها، و كلا الشعبتين تختلف عن شعبة الحقوق التي تعتبر شعبة وضعية تتعامل مع الواقع الاجتماعي كما هو، و تتبع برنامجا محددًا و رسميا دون تحليل أو تصرف فيه، و هذا الاختلاف بين الشعب يظهر كذلك في وضعية كل شعبة ضمن السلم المهني و الاجتماعي في سوق العمل، حيث أن اختيارات الطلبة تنطلق بشكل عام، و في كثير من الأحيان من هذا الاختلاف الأخير.

أما اختيارنا لطلبة و طالبات السنة الثالثة من كل شعبة كعينة أساسية كما ذكرنا سابقا فله أيضا ما يبرره، كون أن طلبة و طالبات السنة الثالثة يمثلون المستوى النموذجي و الأمثل للاندماج داخل الإطار الجامعي، فإنهم يتميزون عن بقية السنوات الأخرى، فهم يمتازون عن السنتين الأولى و الثانية، مثلا من حيث طول الفترة الزمنية التي مضت على التحاقهم بالجامعة (03 سنوات)، و يمتازون عن طلبة السنة الرابعة مثلا من حيث

أنهم لم يدخلوا بعد في مرحلة بداية الانفصال النفسي عن عالم الجامعة، و التفكير في محيط اجتماعي آخر و هو محيط العمل، الشيء الذي نجده لدى طلبة و طالبات السنة الرابعة، الذين لاحظنا بأن نشاطاتهم الثقافية و الاجتماعية و السياسية و غيرها تقل خلال هذه السنة.

لقد قمنا باختيار عينة عشوائية من طلبة و طالبات تلك السنوات من كل شعبة من الشعب المذكورة سابقا، حيث تتكون هذه العينة من 135 طالبا و طالبة موزعين حسب الشعبة و الجنس كالتالي:

علم الاجتماع: 25 طالبا و 20 طالبة: **المجموع 45.**

الحقوق: 25 طالبة و 25 طالبة: **المجموع 50.**

الإعلام الآلي: 25 طالبا و 15 طالبة: **المجموع 40.**

و قد أخذت هذه العينة من مجتمع بحث يتكون من 422 طالبا و طالبة، منهم 278 ذكور و 144 إناث.

7- صعوبات و عوائق البحث:

ككل بحث علمي و خاصة في ميدان السوسولوجيا، فقد واجهتنا عدة صعوبات لإنجاز هذا العمل و إتمامه، يمكن حصرها في صعوبات ذاتية خاصة بالباحث و أخرى موضوعية ابستمولوجية تخص موضوع البحث نفسه.

فأما الذاتية فهي بعد مقرر إقامتنا عن حقل العمل أي جامعة وهران مما دفعنا إلى التنقل عدة مرات و جعلنا نتأخر في إنجاز العمل سنوات طويلة، و ذلك كله مدعما بمشاكل شخصية، كما أن صعوبات الظرف السياسي و الأمني الذي مرت به البلاد زاد في الطين بلّة، حيث جعل المبحوثين تحت مواقف الشك و الحذر و الخوف.

و بالنسبة للعوائق الموضوعية فإن دراسة موضوع الوعي كمعطى رمزي و فلسفي لا يخضع لتقدير كمي أو معيار محدد، صعبة جدا من الناحية المعرفية السوسولوجية، و قد عزّز ذلك قلة المراجع في مجال دراسة الجامعة كحقل للبحث السوسولوجي خاصة في الجزائر، مما دفعنا إلى الاستعانة بمراجع باللغة الفرنسية، خلقت لنا مشكلا إبستمولوجيا يشمل الترجمة الدقيقة للمفاهيم و المصطلحات و هو مشكل يعاني منه علم الاجتماع في العالم العربي بصورة عامة، هذا و أن مشاكل أخرى هامشية كانت أيضا لنا بالمرصاد مثل صعوبات الطبع و الإخراج و التجليد سواء من الناحية المادية كغلاء السعر، أو من الناحية المعنوية كالتباطؤ و التأخر في إنجاز العمل و الخضوع لعامل الوقت الذي يكون دائما ضد عمل الباحث.

و هناك صعوبات أخرى إجرائية هي تردد المستجوبين أو المبحوثين في الإجابة على بعض الأسئلة سواء في الاستمارة أو أثناء إجراء مقابلات مفتوحة، و عذرهم في ذلك صعوبات و أخطار الظروف الأمنية و السياسية التي تزامنت مع مرحلة إجرائنا لهذا البحث.

و قد حاولنا سد الثغرات عن طريق الملاحظة بالمشاركة و تسجيل قراءات يومية لميدان البحث و حضور بعض الأنشطة التي كانت تقام بالمناسبات المختلفة.

إذن فالإرادة كانت موجودة و لكن في مقابل ظروف موضوعية صعبة اجتماعية و سياسية و إجرائية كانت العامل الأساسي للتأخر كل هذه المدة لإنجاز هذا البحث.

I-1. البعد التاريخي:

الجامعة أو Université⁽¹⁾ كلمة لاتينية ظهرت حوالي القرن الثالث عشر ميلادي مشتقة من Universitas، وهي ذات معنى قانوني يعني الجماعة ذات المصلحة المشتركة communauté، أما مدلولها في اللاتينية الكلاسيكية universus فيعني المجموع أو الكل ensemble، totalité.

هذا من حيث المصطلح؛ أما من ناحية مفهوم الجامعة كمؤسسة فإن التعريف التاريخي القديم لها هو كل مؤسسة من المؤسسات الكهنوتية (الإكليرسية) الخاصة بالتعليم الثانوي والعالي، الخاضعة للسلطة البابوية والناشئة عن إتحاد المدارس الكتدرائية والرهبانية والمدارس الخاصة. وأول ظهور لها كان في بولونيا الإيطالية (Bologne) سنة 1119 م ثم تلتها مدن أخرى مثل السوربون (Sorbone) في باريس سنة 1215 م، و أوكسفورد (Oxford) 1249 م، و كامبردج (Cambridge) 1284 م بإنجلترا و هيدلبرغ (Heidelberg) 1386 م و كولونيا (Cologne) 1388 م في ألمانيا؛ وهكذا ومع نهاية القرون الوسطى ظهرت جامعات كثيرة حيث بلغت حوالي تسع وعشرون جامعة في أوروبا مع نهاية القرن 14 ميلادي؛ و قرن من بعد تكاثرت إلى أكثر من خمسين جامعة أوروبية، وتأخر ظهورها في أمريكا حيث حتى سنة 1789 م كانت هناك سبع عشرة جامعة في العالم الجديد.

أما التعريف الحديث للجامعة فقد ظهر سنة 1806 م وهو يدل على هيئة المدرسين للتعليم العام في مختلف الدرجات والذين يخضعون لسلطة مدرس (أستاذ) كبير⁽²⁾، وقد تطور مفهوم الجامعة ليعني مؤسسة للتعليم العالي المتكونة من مجموعة كليات داخل نفس المجمع وتدار من طرف

1- paris - P : 475.

2- P.Robert - Le petit robert 1 (Dictionnaire de français)- Ed : le Robert - Paris1983 - P :2051

مجلس الجامعة، أما في سنة 1898 م فقد ظهر مفهوم الجامعات الشعبية الذي كان يدل على الجمعيات التي تقدم تعليماً للبالغين من الأوساط الشعبية، أما التعريف المعاصر للجامعة فهي كل مؤسسة للتعليم العالي و البحث العلمي في مختلف الميادين و التخصصات العلمية، و لها نظام و هيكل قانوني خاص، و تنقسم إلى كليات و معاهد لمختلف الشعب الأدبية و العلمية مثل: (الحقوق، الطب، الآداب، العلوم الإنسانية، اللغات، العلوم... الخ).

لقد ارتبطت الجامعة عند ظهورها بالكنيسة و خرجت من رحمها حيث كان تطور الجامعات أو انحطاطها مرتبطاً أساساً بنقاشات لاهوتية أو مذهبية، فقد ولدت الجامعة في الغرب المسيحي و كانت تقتصر على التعليم اللاهوتي و تخريج الأطباء و الإداريين لخدمة النظام الملكي و الكهنوتي، و حتى في العالم الإسلامي القديم فإن اعتبارنا للمدارس القرآنية الكبرى في كل من بغداد و دمشق و حلب و قرطبة جامعات قد مارست أساساً التعليم الديني و الأصولي؛ و بذلك فقد افتقدت الجامعات عند بدايتها للتعليم التقني و الفني الذي كان يتم خارجها، حيث يؤكد (M.Devèze) في مؤلفه (Histoire contemporaine de l'université) : **" لا أحد يشك أن الطابع الديني الأساسي للجامعة قد أدى إلى منع و تحريم الكثير من الممارسات التي يقدر أنها مبتدلة "** (1).

و بذلك فإن جامعة القرون الوسطى هي مؤسسة ذات رسالة محدودة حيث أن المفهوم اللاتيني (universitas magistrorum scholarium) كان يعني مجموع الوظيفة التعليمية في كامل حدود المملكة، و إذن فالجامعة هي

³¹- Michel Devèze – Histoire contemporaine de l'université – S E E S – Paris P : 10.

مؤسسة للمعرفة الشاملة التي تتمثل في اللاهوت و الثقافة العامة القديمة، و لم تكن تعني أبدا مفهوم عولمة المعارف بل شموليتها بالمعنى الأكليرسي و الكهنوتي لمفهوم المعرفة.

لكن الجامعات بصفتها أداة للنظام التعليمي عالية من جهة و تتمتع باستقلالية نسبية من جهة أخرى، ولدت مع المجتمعات الصناعية، في فترة ~~أعتبر تراكم رأس المال و تنظيم الإنتاج المحرك للتنمية و اسصور الاقتصادي~~ و الاجتماعي، و رهانا للعلاقات الطبقية؛ فترة أين ظهرت البورجوازية الرأسمالية كطبقة مهيمنة صاعدة، ولدت في لحظة كان الإبداع الاجتماعي يعرف بمفاهيم الرقي، كما أن نقاشات فلسفة الأنوار في القرن 18 م كانت قد أبرزت على المستوى النظري جملة من المتطلبات و الصراعات الكامنة، حيث ساهمت الجامعات في إعداد نموذج جديد للمعرفة حيث البحث و تنوع التخصصات العلمية بدأت تلعب دورا مهما و التي أخذت بصفة أكثر منهجية و تنظيما.

فالجامعات التي تأسست أو بالأحرى أصلحت خلال القرن 19 م هي نوعا ما في قطيعة مع المؤسسات التي كانت تحمل هذا الاسم (الجامعات) خلال العصر الوسيط أو في فترة الملكية المطلقة، هذه القطيعة تبدو بارزة في فرنسا و أقل كثيرا في إنجلترا، و هكذا فمحتوى التعليم لم يمثل أبدا إرثا، و لم يعد الهدف المنشود أبدا نقل مبادئ نسق قيمي مهيمن، و لكنه الإبداع الذي يتطلب المشاركة في التطور، و بهذا أصبح المسار الجامعي أكثر ثراء و غنى، و أصبح الأساتذة ذوي وظائف محددة و مضبوطة و لم يعودوا أبدا أعضاء في الإكليروس (Clergé) أو المجمع الكهنوتي، بل فلاسفة، و رياضيين،

و جراحين... الخ، وأخيرا فإن الجامعات في القرن 19 م أصبحت تنظيما مركبا و معقدا و متشابكا بما فيه الكفاية.

مقارنة بأنواع أخرى من التعليم تشكل معها بصفة أكثر أو أقل اندماجا نظاما تعليميا قائما، أصبحت الجامعات هي النظام المحتمل للتعليم العالي، و إن كانت هذه المؤسسة قد ظهرت، فإن إنشائها في البداية كان محددًا بتعليم ثانوي أولي يشكل مدخلا ضروريا للالتحاق بالتعليم العالي، في القرن 19 م ظهر بناء على ذلك تنسيقا نسبيا بين مختلف مؤسسات التعليم، و هي وضعية جديدة مطلقا مقارنة بالقرن 18 م الذي شهد مؤسسات تعليمية متعددة، و لكن كل منها تشكل كلا قائما بذاته.

فالجامعات التي أنشئت في بداية و خلال القرن 19 م كانت بدون أدنى شك مرتبطة بالجماعات الحاكمة و المهيمنة، و لكنها لم تكن الناطق الرسمي المكرس لنقل و حمل الإيديولوجيا الخاصة بالرأسمالية، بل كانت تحرك نموذجا لنشاط محدد و تعبر عن نفسها باسم التطور، و على هذا كانت ذات استقلالية تجعلها جزء من نظام سياسي و ليس فقط وسيلة لهيمنة جماعة اجتماعية.

و في القرن 20 م و خاصة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أصبحت المعرفة عنصرا هاما في حياة المجتمعات القوية صناعيا و بعدا أساسيا و موضوعيا للنقاش، و فضلا عن ذلك أصبحت الحاجة إلى ذوي الشهادات المؤهلين علميا أكثر أهمية، فبينما ازداد الطلب على التكوين أكثر، أصبحت إشكالية الجامعة على أكثر من صعيد، و على هذا فإن التواصل و الاستمرار التنظيمي ليس هو الجانب الرئيسي في تاريخ الجامعات الحديثة، هذه الاستمرارية تبدو حقيقية أكثر مع جامعات القرون الوسطى و حتى

القرن 19 م، و لكن إشكالية هذا التاريخ يمكن تلخيصها بالشكل التالي :
تنظيم يتناسب في التنمية ورفع درجة الرقي والتطور، و لكنه متورط
في كل أشكال الصراع التي أفرزها هذا النموذج الجديد للمعرفة، و المشكل
العام للنظام الاجتماعي ؛ فهل يمكنه - أي هذا التنظيم الذي هو الجامعة -
أن يجد في ذاته التراضيات المختلفة التي يخضع لها و مختلف الإلحاحات من
القوى المتصارعة ؟ هذا ما نحاول تحليله في موضوع البعد الوظيفي
للجامعة.

2-1. البعد الوظيفي:

إن وجود مؤسسة تعليمية تسمى الجامعة كفضاء للتمركز المعرفي،
تاريخيا، قد أثار العديد من النقاشات و الأفكار المتناقضة حول تحديد طبيعة و
مهام هذه المؤسسة، فالشيء الذي ميز الجامعة خلال بداية تأسيسها هو
ارتكازها على فلسفة عقائدية بعيدة عن خدمة المجتمع بعضوياته المختلفة، و
على هذا فإنه " لا يوجد تعريف قائم بذاته و عالمي للجامعة، إذ أن
الجامعة مؤسسة أوجدها أناس لتحقيق أهداف ملموسة و متعلقة
بالمجتمع الذي ينتمون إليه"⁽¹⁾ و سواء تحدثنا عن البعد الهظيفي،
للجامعة من ناحية المفهوم الرسمي الأكاديمي المتمثل في نقل المعارف و
نشرها و إنتاجها، أو من حيث الوظيفة الاجتماعية و السياسية لها فإن هذا
البعد يأخذ صورا متعددة و مترابطة فيما بينها يمكن إجمالها فيما يلي :-
وظيفة استخلاص المعارف - وظيفة التكيف و الإدماج - وظيفة الإنتاج (إنتاج
العلوم) - و وظيفة نشر المعارف - و وظيفة إعادة إنتاج القيم.

¹⁴- مراد بن أشنهو - نحو الجامعة الجزائرية - د.م.ج الجزائر 1981 - ص 3.

لقد ظلت الجامعة لفترة طويلة تمثل الشكل الكامل تقريبا لنموذج المؤسسة بالمعنى التقليدي لمفهوم المؤسسة، أي تنظيما يركز على قيم معترف على أنها شرعية و مركزية بالنسبة للمجتمع، ترتبط بشدة بالطبقة الحاكمة و المهيمنة و تسير وفقا لمعايير تقرر من طرف السلطات السياسية المركزية، لقد كانت حينئذ مكانا لتمثل واقع ثقافي أكثر منها أداة لإنتاج معارف جديدة، كما كانت تشكل وسطا مغلقا نسبيا، ولو أن الطلبة و الأساتذة كانوا دوما يتشكلون في مجتمعات أين تكون المشاركة السياسية محدودة جدا لممثلي القوى السياسية الشعبية.

على أن الأهمية المتزايدة للمعرفة و الحركة المتسارعة للتغيرات الاقتصادية و الاجتماعية و توسع كل أشكال المراقبة الاجتماعية فرضت على النظام الجامعي وظائف أكثر تنوعا و تختلف هذه الوظائف الواحدة عن الأخرى، و لكنها مندمجة ضمن نظام مركزي يحدوه الاتجاه إلى تحقيق تراضيات متنوعة ضمن نسق موحد، فمن حيث الوظيفة العلمية و المعرفية المنوطة بالنشاط التكويني للجامعة فإننا نجد هذه الوظيفة قد تطورت بشكل ملحوظ من فترة زمنية إلى أخرى حيث توسعت الجامعة من حيث حجم الطلبة بشكل كبير جدا، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية و هذا ما نلاحظه في الجدول الذي يمثل تطور الطلبة بالنسبة لكل ألف نسمة في بعض بلدان العالم، أما على المستوى العالمي فقد بلغ عدد الطلبة سنة 1970 م أكثر من 26 مليون طالب و طالبة حيث لم يتجاوز ستة ملايين سنة 1950 م.

55.4	41.4	25.9	15.1	الولايات المتحدة
69.8	29.9	19.3	6.1	كندا
27.8	10.8	8.7	3.3	بريطانيا
29.4	12.8	5.5	5.1	إيطاليا
23.4	17.4	-	4.8	اليابان
37.1	10.4	8.1	3.1	إسبانيا
26.9	17.6	10.3	3.1	السويد
27.7	12.6	8.00	3.6	بلجيكا

جدول (1 - I).

- نسبة الطلبة بالنسبة لمجموع السكان في بعض دول العالم*- (النسبة في ألف نسمة).

فقد توسعت الجامعة من حيث عدد الكليات والمعاهد العلمية التي تضمها و أيضا من حيث التخصصات العلمية و الشعب الدراسية التي تقدمها لطلابها، ففي بدايتها كانت الجامعة تقام على مساحة أرضية ضيقة و لا تقدم سوى تعليم ديني إلى جانب الطب و التكوين بالإدارة الملكية، و لكن الجامعة حاليا تضم عددًا كبيرًا من الكليات و تشغل حيزا جغرافيا واسعا، كما أنها تضمن تكويننا في مختلف التخصصات العلمية و الأدبية مثل الحقوق و الطب و العلوم، و العلوم الإنسانية و الآداب و الفنون و اللغات... الخ، كما نرى حاليا أن التعليم العالي يتم تنظيمه وفق ثلاث مستويات أو ثلاث درجات (Trois cycles) :

❖ المستوى الأول: Le premier cycle و يتعلق بالتكوين لمدة سنتين

يتوج بالحصول على دبلوم الدراسات الجامعية العامة D.E.U.G.

❖ المستوى الثاني: Le deuxième cycle و هو تعميق للمستوى الأول

تتراوح مدة الدراسة فيه بين سنتين و ثلاث سنوات و يتوج بالحصول

على شهادة الليسانس أو La maîtrise.

* Source : Dominique et Michele Frémy – Quid 1998 – Ed: Robert Laffont–Paris1997–P1415.

❖ المستوى الثالث: و هو متعلق بالتخصص العالي يدوم عدة سنوات حيث يمكن أن يكون تعليم مهني بتربص إجباري يتوج بدبلوم الدراسات الجامعية المتخصصة D.E.S.S، أو بتكوين جامعي في البحث يتوج بدبلوم الدراسات المعمقة D.E.A و يتعلق بتحضير رسالة دكتوراه، هذا و يجب الإشارة إلى إن تنظيم الدراسات الجامعية قد يختلف من بلد إلى آخر.

إذا اعتبرنا أن وظيفة التكوين و نشر المعارف من المهام الأساسية للجامعة، فإنها تلعب دورا آخر كمؤسسة اجتماعية تساهم في حركة المجتمع و تطوره، و لكن ما يهمننا في هذا المقام هو الدور السياسي للجامعة عبر العالم أو بالأحرى ما هي الوظيفة السياسية للجامعة ؟ - فإذا عدنا إلى الجذور الأولى فإننا نرى أن مؤسسة الجامعة نشأت في ظل تحالف رجال الدين مع رجال الملكية و أصبحت هذه المؤسسة مجالا لإعادة إنتاج قيم و إيديولوجيات النظام الملكي الكهنوتي، و أما الجامعة المعاصرة فرغم أن الكثير من المفكرين يحاولون إبعادها عن الدور الإيديولوجي لخدمة النظام القائم، فإن الملاحظة الأولية تدل على أن كل دول العالم الثالث حاولت جعل الجامعة كمؤسسة لخدمة الدولة.

و نظرا لدورها الخطير فإننا نجد أنه من أمريكا إلى إثيوبيا قد حاولت كل دولة إنتاج نموذجها من التعليم العالي لتكريس أفكار و قيم النظام السائد، و إن التأمل في هذا النص يبرهن على دور الجامعة في دولة مثل أمريكا حيث **أعتبر أحد الباحثين أن " المعاهد و الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية تؤدي دورا بارزا في صنع القرار السياسي، حيث تتولى تحليل المعلومات التي ترد إلى المخابرات و غيرها من الجهات**

الأخرى و تصنيفها للاستفادة منها في اتخاذ القرارات السياسية إزاء كل بلد من بلدان العالم... (1)

و بذلك فإن الجامعة تشكل مؤسسة لإنتاج و إعادة إنتاج قيم الطبقة المهيمنة اجتماعيا و سياسيا، و هذه الفكرة تجد صداها عند دراسة الأصول الاجتماعية و المهنية للطلبة المنتسبين إليها، و إن كنا لاحظنا هذا المفهوم بدقة في المجتمعات التي مازالت في طور النمو إلا أن المجتمعات الرأسمالية المتطورة تعتبر نموذجا لذلك، و هذا ما ركزت عليه الكثير من الدراسات و تربت سور الجامعة و حره إعادة الإنتاج و هو ما يقدمه لنا الجدول الذي يمثل الأصول الاجتماعية للطلبة في بعض البلدان الأوربية.

إيطاليا	هولندا (1970)	بلجيكا	فرنسا	ألمانيا	مهن الآباء
21.1%	4.3%	4%	5.6%	3.5%	- فلاحون.
	5.2%	8%	6.2%	5%	- عمال صناعيون.
10.1%	17.8%	27.5%	11%	22%	- عمال إداريون و أجراء.
	28%	18%	33%	32%	- موظفون.
42.6%	13%	13.4%	12%	13%	- مهن ليبرالية.
	22%	18%	17.7%	15.5%	- صناعيون و إرباب تجارة.
	1.7%	4%	6%	1%	- بدون عمل.
	2%	3%	5%	3%	- متقاعدون.
	6%	4%	3.5%	5%	- متوفون أو مفقودون.

جدول (2 - 1).

- الأصل الاجتماعي للطلبة في بعض بلدان أوروبا (1967) *

⁶1- زاهر زكار - دور المعاهد و الجامعات الأمريكية في صنع القرار السياسي- جريدة (المجتمع) عدد 9- 06/02/1993 - ص 5.

* -Source : Michel Deveze - Histoire contemporaine de l'universite - S.E.E.S-paris P : 441.

على أن الجامعة تؤدي في هذه الناحية دورا سياسيا مزدوجا و معقدا فهي من جهة تعمل على إعادة إنتاج النمط السياسي السائد و تكريسه في ظل تبعية آمنة للسلطة الحاكمة، و من جهة أخرى تعتبر الجامعة في كثير من الأحيان منبع للثورات الاجتماعية و السياسية المضادة للأنظمة السائدة، كما حدث في ستينات هذا القرن من ثورات طلابية اجتاحت كل جامعات العالم و كانت تعبّر عن قيم سياسية و اجتماعية مضادة. فقد كانت نتيجة مطالب سياسية كالوقوف ضد حرب فيتنام و ضد نظام الهيمنة الرأسمالية و التفاوت الطبقي الاجتماعي و على ذلك " **فالجامعة هي أداة تكيف للمجتمع مع التغيرات الحاصلة فيه، حيث كانت في الولايات المتحدة وسيلة قوية للتوحيد أرغمت الطلبة على الخروج من وضع الجماعة المنغلقة إلى الثقافة الوطنية الشاملة** " (1) هي المكان حيث تتشكل نماذج العلاقات الاجتماعية، و نماذج الاتصال و التراتبية، و باستثناء فرنسا أين كانت الجامعة عامل تأخر في التطور الاجتماعي، فإن الجامعات في أوروبا و أمريكا اللاتينية لعبت دورا أساسيا في التنمية الاجتماعية و في تكوين طبقة وسطى وطنية و عصرية " (1)، و للاقترب أكثر من الوظيفة السياسية للجامعة فإننا نعمل على تحليل علاقة الجامعة بالمجتمع، أو دور الجامعة داخل المجتمع كمؤسسة تضم مختلف الأفكار و التيارات الاجتماعية و تساهم في تنظيمها و تفاعلها.

I-3. الجامعة و المجتمع :

⁸1- encyclopidie universal – op cit – p 478.

يمثل المجتمع بتأثيراته المختلفة عنصرا حاسما في صياغة المواقف و القيم السائدة في الثقافة السياسية الطلابية خاصة إذا أخذنا في عين الاعتبار البنيات الأساسية الأولية للطالب الجامعي كالأصل الاجتماعي و المحيط العائلي و عناصر الثقافة السياسية التي ينتجها المجتمع و تجد صدى لها داخل الحرم الجامعي.

و لكن للجامعة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية دورا فعالا أيضا في مفهوم الحركية الاجتماعية و التغيير و التنمية، و قد اختلفت الأطروحات و الأفكار و تشعبت حول الدور و العلاقة بين المجتمع و الجامعة، و لئن كان هناك إجماع حول أمرين مهمين يجب مراعاتهما لنجاح رسالة الجامعة ذاتيا و اجتماعيا و هما : قدسية العلم و الحقيقة

العلمية المطلقة، و مدى تأثير و نفعية العلم لدى الفرد و المجتمع، فإن الأفكار

و الرؤى المختلفة حول دور الجامعة داخل المجتمع يمكن التعرض لها من خلال الأنساق الوظيفية التالية:

- التغيير الدائم و المستمر و رفض ما هو كائن اجتماعيا.
- الإعداد و التكوين للإطارات العلمية و الكوادر الوطنية.
- استغلال المخزون التراثي و إنشاء علاقات بحثية و علمية معه بهدف التواصل الحضاري.
- تلبية المطالب السياسية و الإيديولوجية للطبقة الحاكمة و الفئة المهيمنة.
- المحافظة على القيم الاجتماعية و إعادة إنتاج الثقافة .

و قد ظلت هذه الأنساق و الرؤى محل صراع و تفاعل بين التيارات الاجتماعية المختلفة جعلت من الجامعة بؤرة دائمة للتداخل و الانفعال و عرضة للمواجهات المتباينة، مما يعني أن المجتمع يصنع الجامعة و لكن هذه المؤسسة ليست دائمة منفعة و حيادية بل يراد منها الكثير لتكون " جامعة علمية فاعلة تحتل موقعا مؤثرا و فعالا في التغيير الاجتماعي و التفعيل الحضاري " (1) و يبرز دور الجامعة أكثر من خلال علاقتها بمفهوم التنمية الذي واكب هو بدوره تطور مختلف المؤسسات الاجتماعية في العصر الحديث.

I-4. الجامعة والتنمية:

لقد ارتبطت الجامعة منذ تأسيسها بنسق النظام الرسمي فهي مؤسسة دولانية (من الدولة)، بامتياز و مازالت هذه الصفة ملازمة لها حتى اليوم و هذا ما نلمحه من خلال هذا الجدول حيث تشكل الجامعة جزء أساسيا من مفهوم القطاع العام في كثير من بلدان العالم و إن كانت هناك ملامح لتدخل القطاع الخاص في بلدان أخرى.

القطاع الخاص %	القطاع العام %	البلدان
02	98	- ألمانيا.
3.8	96.2	- تونس.
3	97	- المغرب.
5	95	- سويسرا.
9	91	- بريطانيا.
9	91	- إيطاليا.
10	90	- النمسا.
18.4	84.6	- فرنسا.
31	69	- إسبانيا.
60.2	39.79	- بلجيكا.

⁹1- أحمد عيساوي - دور الجامعات في عملية التنمية و البناء - جريدة (البيان) عدد 44 من 25 إلى 31/12/94 - ص 12.

72	28	- الأراضي المنخفضة.
75.3	24.7	- اليابان.

جدول (3 - I). - نسبة توزيع المؤسسات الدراسية و الجامعية بين القطاع العام و القطاع الخاص*

و على هذا فإن ارتباط الجامعة بالتنمية هو أحد وجوه التعبير عن الجهود العام للدولة في محور التنمية الشاملة، وإن دراسة العلاقة المباشرة بين تطور التعليم بصورة عامة و الجامعي منه بصورة خاصة، و النمو الاقتصادي هي ظاهرة معقدة لا يمكن تفسيرها فقط بالأرقام الإحصائية، و إنما ترجع لخصوصية كل نظام اقتصادي و درجة تقدم كل بلد، حيث أكد (Jacques Hallak) في كتابه المعنون « A qui profite l'école ? » إن دور التعليم في التنمية لا يمكن التغاضي عنه أو إهماله، و لكنه ليس حاسما في نفس الوقت و بذلك فإن التساؤل المفيد و المناسب هو أي نوع من التعليم ؟ لمن ؟ و لأي نمط من التنمية ؟ فالعلاقة بين التعليم و التنمية تتوقف على طبيعة النظام السياسي و الاجتماعي.

و هكذا ندرك أنه و في جميع الحالات أصبح التعليم الجامعي ضرورة اجتماعية رغم أنه لا يلبي نفس حاجات التنمية في كل بلد، ففي المجتمعات الصناعية التي تتطلب كفاءات عالية على مستوى سلم الأعمال فقد ارتفعت نسبة الوظائف العليا من 27% إلى 48%، و مناصب العمل للإطارات المتوسطة و العليا من 13% إلى 32%؛ فقد أصبح التعليم في هذه المجتمعات ليس ترفا بل هو استثمار فعلي استفاد منه الأفراد و المجموعات، فالجامعات في البلدان الرأسمالية تنتج الإطارات و الكوادر، و تعد الدراسات و المشاريع للمساهمة في مفهوم التنمية الشاملة، أما في البلدان ذات الاقتصاد الاشتراكي الموجه فإن الجامعة هي مؤسسة اجتماعية

تحتضن القيم الاجتماعية و تساهم في إعداد الإطارات العليا و النخبة الاقتصادية لإدارة شؤون المجتمع.

و لعله من المفيد التذكير بالتحليلات التي حاولت الربط بين التعليم و الاقتصاد من خلال دراسة قام بها معهد أمريكي خاص The National industrial conference board حول العلاقة بين مستوى التمدن و الدخل العائلي يمكن تلخيصها في جدول إحصائي، حيث نلاحظ أن ارتفاع مستوى الدخل العائلي مرتبط بارتفاع المستوى التعليمي لدى رب الأسرة، و بذلك فالتعليم إلى جانب كونه وسيلة للرفاهية الفردية فهو عامل اقتصادي في التنمية و التطور الاجتماعي.

المستوى التعليمي لرب العائلة	عدد العائلات بـ (1000.000)	%	الدخل العائلي المتوسط بالدولار	%
- تعليم ابتدائي جزئي.	7.1	15	3.460	9
- تعليم ابتدائي كامل.	8.4	17.7	5.300	15
- تعليم ثانوي جزئي.	13.4	28.2	5.930	17
- تعليم ثانوي كامل.	4.5	9.4	6.850	30
- تعليم جامعي جزئي.	8.8	18.5	7.740	11
- تعليم جامعي كامل.	5.3	11.2	9.700	18
- مجموع العائلات.	47.5	100	6.200	100

جدول (4 - I).

- علاقة التمدن بمتوسط الدخل العائلي في م أ 1963* -

و أخيرا فإن الجامعة رغم كل ذلك فهي ليست مؤسسة اقتصادية بالمعنى المادي للمفهوم و لكنها أداة للاستثمار البشري و الإنساني لها استقلالية ذاتية و معنوية، و عندما نضعها في مواجهة مفهوم التنمية فإن هذا الأخير يجب أن يأخذ بعدا شاملا من العناصر الثقافية المختلفة كالنسق الاجتماعي و البناء الاقتصادي و التكوين السياسي، و إن صح التعبير فإن

¹⁰* Source : M.Deveze – op. cit P 250

التأثير الروحي للجامعة له أيضا نظامه و خصوصياته، فهي مؤسسة ذات بعد شمولي يؤدي إلى إنشاء بنية فكرية و اجتماعية تتجاوز كثيرا المفهوم الضيق للتنمية المادية، بل إن أحد المهام الأساسية للجامعة هي بناء الوعي لدى الأعضاء المنتمين إليها و جعل أثرها يمتد إلى خارج أسوار الحرم الجامعي.

5-1. الجامعة و بناء الوعي :

أ - مفهوم الوعي (تأصيل نظري) :

إن مفهوم الوعي يثير الكثير من النقاشات لأنه متعدد الأبعاد، فهو سيكولوجي و سوسيولوجي و ذو بعد فلسفي و أخلاقي، و على ذلك ارتأينا الضرورة القصوى في وضع تأصيل نظري لهذا المفهوم من منظور سوسيولوجي و إن كانت الحدود بين الأبعاد المختلفة له غير واضحة و تثير الكثير من الإشكالات، فهو : " **قدرة الفرد على إدراك حقيقته و الحكم عليها** " ⁽¹⁾؛ و بين النظرة التي ترجع الوعي إلى الذاتية و الأخرى التي تنفيها يمكن القول بأن الوعي هو نتيجة العلاقة الجدلية التي تربط الفرد بواقعه المادي و الاجتماعي، و بما أن الوعي له علاقة و طيدة بمفاهيم عديدة مثل العلم، الإيديولوجيا، المعرفة، السيكولوجيا، فهو يشمل الآراء، القيم، الأفكار و المشاعر، و المعتقدات و التصورات.

أما الوعي السياسي فيشمل الآراء و المواقف السياسية التي تعكس المصالح الاجتماعية للبشر، و نلاحظ أن (**كارل ماركس**) قد ربط أشكال الوعي السياسي عند الطبقات و الفئات الاجتماعية بالظروف التاريخية لتطور المجتمع، و يرتبط الوعي مباشرة بمفهوم الممارسة حيث يرى (**بورديو**) أنه : " **لمن الخطأ فصل الوعي عن الممارسة، أو القول**

¹¹1- Habib Benabed – Manuel des connaissance humaines – Alger 1999 – p30.

بأن الممارسة يمكن أن تكون مجردة من الوعي " (2)، و على هذا الأساس لا توجد وقائع اجتماعية موضوعية منفصلة عن الوعي الذاتي، فلكل ممارسة إذن وعي محدد.

ب- دور الجامعة في بناء الوعي :

تقوم الجامعة بوظيفة أساسية هي جزء من التراث التربوي و البيداغوجي في المجتمع و على هذا فالتربية عموما " تعتبر إحدى الوظائف المهمة للوعي و شرطا ضروريا لاستمرارية الحياة الاجتماعية، فهي التي تنقل الأفكار و الرؤى و التصورات و الأفعال و العادات المنطقية و الاتجاهات الأخلاقية و المعارف النظرية و التقنية و المهارات من جيل إلى جيل " (3)، و تقوم الجامعة بأدوار مختلفة تؤكد على خاصيتها الاجتماعية ففي حين أنها تعمل على الحفاظ على الوضع القائم، و لا تطرح النظام الاجتماعي للتساؤل، فإنها من ناحية أخرى قد تستخدم كقوة للتغيير.

و مند نشأتها و عبر مناطق كثيرة من العالم كانت الجامعة تمثل المؤسسة المثلى لصراع مختلف التيارات و الأفكار الناشئة عن التناقضات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية داخل المجتمع؛ فقد شهد عقد الستينات من هذا القرن حركة احتجاجية عالمية كانت الجامعات مسرحا لها و مثلت نموذجا للوعي الطلابي تجاه قضايا إنسانية فقد تمحورت في أمريكا حول حرب فيتنام، و توجهت في أوروبا إلى التنديد بالتفاوت الطبقي و الاجتماعي، و من ذلك فإن القراءة السوسولوجية لهذه الأحداث و غيرها تقودنا إلى

²¹²- بيار بورديو - عن - علي سالم - الوعي بين الفرد و الجماعة - مجلة الفكر العربي المعاصر - عدد 74-75 مارس - أبريل 1990 - ص 81.
³- علي سالم - المرجع السابق - ص 80.

الإقرار بأن الجامعة تستوعب القضايا الناشئة داخل المجتمع و تتفاعل كمؤسسة إنتاج فكري مع مختلف التطورات المتلاحقة.

و هنا يخضع أفراد هذه المؤسسة لعملية بناء ذاتي للشخصية و اكتساب عوامل التأثير و التفاعل مع الفئات الاجتماعية الأخرى، حيث أكد عالم الاجتماع الفرنسي (E. Durkheim) أن الوعي الجمعي (أو الجماعي) يلعب خلال عملية التنشئة المتواصلة للأفراد دوراً أساسياً في تنظيم الحاجات الكثيرة لهم و جعل الفرد كائناً اجتماعياً بالأساس.

و هكذا فالجامعة التي كانت في أيامها الأولى عبارة عن (دير) قد تحولت إلى (حلبة)، فقد كانت الملاذ المفضل لمن يريد التأمل في البعد التجديدي للعالم، في حين أن اليوم نجد الجامعيين يتساءلون بإلحاح عن درجة اندماج الجامعة في المجتمع و على رأي (M. Devèze) : " لا أحد يشك أن التربية الجامعية للجماهير كانت مصدراً للتوترات التي أدت من جهة إلى إحداث تغيير في النظام الجامعي، و من جهة أخرى إلى اضطرابات سياسية خطيرة" ⁽¹⁾.

إذن فالجامعة هي مؤسسة لها أهداف اجتماعية و سياسية وثقافية معينة حيث و من خلال وظيفتها في نشر الأفكار و الرؤى و المعارف النظرية و التقنية و المهارات؛ يبدو و أنها تقوم على أساس شكل من التوحى التمسدر، و يجدر بنا التساؤل عن ماهية هذا الوعي، هل هو مرتبط بالمجتمع و بجميع تركيباته الاجتماعية؟ أم هو منتج جامعي خاص يعبر عن - ملجأ إيديولوجي - (un refuge ideologique) لفئة اجتماعية تضمن من خلاله سيطرتها السياسية و الاقتصادية على المجتمع؟ إن هذه التساؤلات و غيرها هي

¹⁴¹- Michel Devèze op cit - P 77.

محور بحثنا في الفصل الموالي الذي نتناول فيه بالدراسة الجامعة الجزائرية من الناحية النظرية بعد أن قمنا بتحليل نظري لدور ورسالة الجامعة على المستوى العالمي.

II-1. الإطار التاريخي:

من البداية يمكن تمييز ثلاث مراحل أساسية في تاريخ الجامعة الجزائرية؛ المرحلة الاستعمارية حيث نشأت الجامعة كمؤسسة تعليمية لخدمة أهداف الاستعمار، ثم مرحلة ما بعد الاستقلال والتي سبقت إصلاح 1971 م، ثم المرحلة الثالثة وهي بعد الإصلاح حيث ستهتم أكثر بتحليل مرحلتين هامتين وهما: مرحلة النشأة و مرحلة ما بعد إصلاح 1971 م، لأن المرحلة الوسطى كانت الجامعة في عهد الاستقلال مازالت تتميز بالتبعية للمرحلة الأولى كما كانت في طور البناء الذاتي سواء من حيث البرامج أو لغة التدريس.

أ- نشأة الجامعة الجزائرية:

رغم أن الجامعة الجزائرية تأسست في الثمانينات من القرن الماضي، فهي بذلك أقدم جامعة في البلاد العربية على الطراز الحديث، إلا أنها ظهرت كمؤسسة أنشأها الاستعمار لتلبية غايات و أهداف محددة، فقد كان المرسوم الصادر في 09 ديسمبر 1887م ينظم تعليم الأهالي (Decret réglementant l'enseignement indigène)، و كان الالتحاق بالجامعة حلما بعيدا بالنسبة لأبناء الجزائر، فقد ظهرت الكليات و المدارس المكونة لها عام 1879 م مثل الطب و الصيدلة، العلوم، الآداب، و العلوم الإنسانية، و كان هدف الاستعمار واضحا من إنشائها، فعلاوة على تكوين أبناء المعمرين و تخريج إطارات عليا لخدمة الإدارة الاستعمارية على أرض الجزائر، فإن ترسيخ الوجود الفرنسي و تكريس ثقافته مع الإبقاء على الفاصل الثقافي بين الفرنسيين و أبناء الأهالي كان دافعا أساسيا لإنشاء المؤسسة الجامعية في فترة استعمارية مبكرة بالجزائر.

إن الجامعة الجزائرية لها ما تحمل من خصوصيات و ظروف تاريخية أوجدتها، فلقد عملت السلطة الاستعمارية الفرنسية منذ دخولها الجزائر على تفويض بنية التعليم التقليدي الذي كان سائدا آنذاك، فبدأت محاولتها الأولى بخلق مدرستين ؛ مدرسة تعليم أبناء المعمرين و أخرى خاصة بأبناء الأهالي.

إن هذه الإجراءات التي قام بها الاستعمار، كانت تبطن داخلها ذهنية إيديولوجية و استغلالية غايتها كانت إقناع الجزائريين بحتمية أوضاعهم و ضرورة التكيف معها " **فبالمدرسة و من خلالها سنحاول تبيان المكانة الخاصة بالأهالي**"⁽¹⁾، و هذا يعني أن السيطرة الكاملة لا تتم إلا من خلال جعل طوق حديدي على المدرسة لإنتاج علاقات اجتماعية طبقية، و بالتالي رسم حدود اجتماعية و اقتصادية فاصلة بين الأهالي و الفرنسيين، هذه الحدود كانت تسيروا وفق تكتيك سياسي، من خلاله أصبح التعليم عبارة عن تأشيرة اقتصادية و اجتماعية " **فمنذ اللحظة التي يسمح فيها التعليم، أكثر فأكثر للحصول على مهنة، تصبح المؤسسة المدرسية لعبة أساسية**"⁽²⁾.

¹1- Seddik Taouti – La Formation des cadres pour le developpement – O.P.U Alger (sansdate) – P 32.

²2- S.Taouti – op. cit P32.

و بناء على هذا فإن الحديث عن الجامعة في الجزائر، لا يخرج عن إطار
الوضعية التي أخذتها المدرسة، فالنخبة السياسية الاستعمارية مددت
سيطرتها بإيجاد جامعة لتلبية حاجياتها الاقتصادية و تثبيت نفسها داخل
الجزائر، و عليه فحظوظ الجزائريين لدخول الجامعة كانت قليلة جدا حيث
وجد حسب (M.Viollette)⁽³⁾ أنه في سنة 1929 م بلغ العدد الإجمالي
للطلبة الجزائريين سبعة و سبعون طالبا (77 طالبا) موزعين حسب
الشعب كما يبينه الجدول التالي:

عدد الطلبة	الشعبة
17	حقوق
33	آداب
13	طب و صيدلة
14	علوم
77	المجموع

جدول (1 - II).

³³- S.Taouti – op. cit P60.

إذن يمكن ملاحظة حسب ما هو وارد في الجدول، أن الجزائريين ظلوا بعيدين عن التعليم الجامعي و أنه كان يشكل بالنسبة لهم مجالا مجهولا و غريب المعالم، و هذا يتطابق كليا مع ما رسمته السلطة الاستعمارية لنفسها من أهداف تمثلت في ضرورة إبعاد الحد الأقصى و السّسن من الجزائريين عن التعليم الجامعي و إعطائهم من باب (الامتياز الشكلي) فرصة الدراسة داخل مؤسساتها التعليمية ؛ هذه الفرصة غالبا ما تنتهي بالإبعاد عند مرحلة التعليم الابتدائي.

إن هذه السياسة التعليمية المنتهجة، من طرف الاستعمار، كانت لها أبعاد و خلفيات اجتماعية و اقتصادية، هدفت إلى إبقاء الجزائريين ضمن إطار تعليمي ضيق يتناسب مع هيكل وظيفي و مهني أدنى و ثانوي داخل بنيتها الاقتصادية، و من جهة أخرى فإن هذه السياسة كانت تتم على حساب عامة الجزائريين، لصالح ما سمي بالفئة الوسطى أو النخبة من الجزائريين التي قامت فرنسا بغرسها داخل المجتمع الجزائري و شكلت في جملتها " شبه معمرين جدد ليكونوا طبقة تسيير البلاد " (1).

⁴¹- S.Taouti – op – cit – p 44.

2- مصطفى زايد – التنمية الاجتماعية و نظام التعليم الرسمي في الجزائر – د.م.ج – الجزائر 1986 – ص 109.

إن استخدام السلطة الاستعمارية للتعليم كإيديولوجية، سعت من ورائها إلى : " **تكوين نخبة مزيفة من المثقفين مقطوعة عن الجماهير الشعبية**"⁽²⁾، فرغم ما طرأ من تغير و لو نسبي في تطور عدد الطلبة الجزائريين الذين تمكنوا من مواصلة تعليمهم في الجامعة بحيث نجد أنه بين سنة 1946-1947 م، بلغ عدد الطلبة الجزائريين (258 طالبا و طالبة) مقسمين حسب ما يوضحه الجدول الموالي (2 - II)، إلا أن ذلك لا يمثل شيئا أمام إقصاء و تهميش الآلاف من أبناء الأهالي و جعلهم عرضة لوباء الجهل و الأمية حسب ما اقتضته السياسة التعليمية الاستعمارية.

عدد الطلبة	الشعبة
61	حقوق
82	آداب
72	طب و صيدلة
43	علوم
258	المجموع

جدول (II-2).

إن الجامعة في الجزائر كانت لحظة تأسيسها وسيلة ه أداة استعمارية للهيمنة، لأنها ارتبطت بمصالح و أهداف المستعمر الذي قام بإنشائها لترسيخ و تدعيم بنيته المادية الاقتصادية و الاجتماعية و لتبرير شرعيته التاريخية و الحضارية. فالجامعة لم تكن تعبّر عن الرؤية المستقبلية الثقافية و السياسية للمجتمع الجزائري ؛ و لهذا فإنه حتى سنة 1961 = 1962 م نجد أن عدد الطلبة الجزائريين قد بلغ ستمائة طالبا و طالبة (600) من بين خمسة آلاف (5000) طالب و طالبة معظمهم أوروبيون و هذا كمثل عن جامعة الجزائر آنذاك.

ب- إصلاح 1971 و نتائجه:

إن الجامعة هي القطاع الحساس في المجتمع و عليه فإنه بعدما تمكنت الجزائر من الحياة على استقلالها، كان لزاما عليها أن تقوم بطرح تصور خاص بها للجامعة و لدورها و كيفية اشتغالها " فالجزائر اختارت طريق الجراءة و العزم لمواجهة في نفس الوقت مختلف أشكال الكفاح للتحرر و التطور (...) و هي بعيدة عن القيام بدور ذا أهمية أولية يرتبط بها من خلال الجهد الضخم لإحداث ثورة شاملة و هي تعيش دائما على بنيات موروثه عن الاستعمار"⁽¹⁾.

1- M.E.S.R.S – La refonte de l'enseignement superieur – imprimerie officielle – alger – sans date – p 11.

2- مراد بن أثنهو – مرجع سبق ذكره – ص 3.

لقد شكل مشروع إصلاح التعليم العالي في سنة 1971 م حدثاً هاماً ضمن المسار التاريخي للجامعة في الجزائر؛ لأنه جاء في مرحلة تطلبت تحديد رؤية خاصة للجامعة وتحديد دورها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي تجاه المجتمع بكامله، هذا لأنه: **" يؤسس كل مجتمع جامعيته بناء على مشاكله الخاصة وتطلعاته واتجاهاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن ثمّ تصبح الجامعة مؤسسة تكوين لا تحدد أهدافها واتجاهاتها من جانب واحد ومن داخل جهازها؛ بل تتلقى هذه الأهداف من المجتمع الذي تقوم على أسسه والذي يعطيها هو وحده حياة ومعنى وجوده"**⁽²⁾.

فمن خلال مشروع 1971 م تم طرح تصور مبني على ضرورة تلاحم الجامعة بأهداف و توجهات المجتمع، أي ضرورة خلق جامعة تتمحور ذاتيا حول تطلعات و أهداف المجتمع، هذا ما شكل الهدف العام للمشروع و لقد عبر عنه (**محمد الصديق بن يحيى**)، وزير التعليم العالي و البحث العلمي آنذاك في ندوة صحفية يوم 23 جويلية 1971 حيث قال : " **إنه من الضروري أن تعرف الجامعة من شعبها و أن يعرف الشعب من جامعته، و هذا يعني أنه يجب حماية أنفسنا من ظواهر الإستيلاء الثقافي الذي هو سبب تأخر العديد من جامعات العالم الثالث، و نكوّن إطارات ملتزمة بجانب الشعب**"⁽¹⁾. أما الهدف الأساسي و الجوهرى للإصلاح الجامعي فقد تمثل في إلزامية " **تكوين كل الإطارات التي تحتاجها البلاد ؛ فغياب الإطارات يشكل في الوقت الراهن العقبة الرئيسة لمجهودنا التنموي، فمن صلاحية الجامعة إذن تعبئة مجموع إمكانياتها لتكوين رجال صالحين للتنمية، و من صلاحياتها كذلك عدم الاكتفاء فقط بتكوين إطارات قديمة كانت تكون في الجامعة**"⁽²⁾.

¹- M.E.S.R.S – La refonte – op cit – p 12.

²- M.E.S.R.S – La refonte – op cit – p 12.

إذا كان الإصلاح الجامعي قد مثل شكلا من أشكال الوعي بحتمية القضاء على بقايا الاستعمار و آثاره الثقافية، و بالتالي إنشاء جامعة لها من الخصوصيات ما يجعلها وطنية و ملتفة حول المجتمع، فإنه يحق لنا أن نتساءل عن ماهية و طبيعة هذه الإجراءات الإصلاحية، فما هي إذن الجوانب و المجالات التي مسها الإصلاح داخل الجامعة ؟.

يمكن تلخيص أهم ما مس الجامعة من تغيير في ظل مشروع إصلاح

1971 م فيما يلي:

- حل الكليات و إقامة المعاهد ؛ فنظام الكليات الذي ميز الجامعة التقليدية كان يرتكز على أربع كليات ثابتة و هي (الآداب، الحقوق، العلوم و الطب) ؛ و قد عرف أزمة في الأهداف و في الإدارة، و هذا ما يتعارض مع تطبيق إصلاح التعليم العالي الذي كان يسعى نحو إيجاد جامعة متفتحة و شعبية أكثر منها جامعة نخبوية، فوجود الكليات بشكلها ذاك، كان لا يتواءم مع التطورات تطلعات المجتمع.

فلقد بدأت عملية حل الكليات و إعادة تنظيم الجامعة في شكل معاهد في سبتمبر 1971 م و قامت عملية تعريف و تأسيس المعاهد على ثلاثة مبادئ هامة هي :

- تخصيص كل معهد في مادة علمية أو تقنية.
- الاستقلال المادي و المالي للمعهد.
- مساهمة أكبر من طرف الأساتذة في تسيير المعهد.

و إلى جانب هذا فإنه و كما جاء في مشروع الإصلاح : " **سواء على مستوى تنظيم الدراسة و محتواها و المناهج البيداغوجية أو على مستوى البناء العضوي و الإداري، فالجامعة لا تستجيب للضرورات الرئيسية للثورة الجزائرية**"⁽¹⁾، فلقد أعطى الإصلاح للجامعة صورة جديدة بحيث تمت إعادة النظر في البرامج الدراسية و محتوياتها و كذلك نظام المقاييس، و مدة التكوين و التخرج للإطارات الخاصة بكل شعبة، فأصبحت الجامعة تضم اختصاصات جديدة و ذات تنظيم أكاديمي جديد.

و عموماً فالإصلاح الجامعي إرتكز لتغيير و تحسين النظام التربوي الجامعي على ثلاث أفكار محورية يمكن إدراجها فيما يلي :

- التكوين السريع و بأقل تكاليف ممكنة لإطارات ذات مستويات عالية معدة للعمل مباشرة و في جميع مجالات العلوم و التكنولوجيا.
- ليونة في تنظيم الدراسة و ذلك بإخضاعها لأسلوب المقاييس حتى يتسنى للجامعة تكييف التكوينات التي تقدمها للاقتصاد الوطني في شكل إطارات جديدة و بصورة سريعة.
- تحديث الطرق التربوية و نظام الامتحانات و كذلك التقدم و التوجيه حتى يتحسن إنتاج الجامعة و فعاليتها الاجتماعية.

¹⁰1- مراد بن أشنهو - مرجع سبق ذكره - ص 15، 16.

- إدماج الإطار منذ مرحلة تكوينه داخل المجتمع، و ذلك بالتقليل من المحاضرات النظرية لترك المجال أمام العمل في المخابر وإجراء تربية في وحدات الإنتاج.

إن هذه الميكانيزمات الإصلاحية كان لها نتائج وأثر على وضعية الجامعة و يمكن أن نلتمس هذا التأثير في تطور و زيادة عدد الطلبة، فحسب ما يوضحه الجدول (3 - II) فإن عدد الخريجين بالنسبة للاختصاصات المذكورة في الجدول، قد أرتفع من سنة لأخرى، و هذا التطور الكمي يبين أن الجامعة أصبحت تأوي أعدادا ضخمة من الطلبة و أصبح في كل سنة يتخرج منها العديد من الطلبة بشهادات مختلفة.

76-77		75-76		74-75		73-74		72-73		71-72		70-71		السنوات
%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	التخصصات
18.0	948	16.2	756	17.2	524	17.3	375	39.0	962	28.0	502	29.0	361	علوم اجتماعية و آداب
23.5	1239	17.6	820	31.6	964	22.7	494	16.0	384	22.0	386	20.0	248	علوم قانونية وإدارية
07.7	415	09.5	444	14.1	430	14.0	124	10.4	252	13.0	240	11.5	142	علوم اقتصادية
24.9	1336	27.0	1257	17.0	515	19.0	415	19.6	481	16.5	229	27.8	296	علوم [بيولا و جيا- تكنولوجيا]
25.0	1340	28.7	1384	20.1	613	27.0	560	15.0	376	20.5	368	15.7	197	علوم طبية
100	5278	100	4661	100	3046	100	2168	100	2455	100	1795	100	1244	المجموع

جدول (3 - II) .

- أعداد الخريجين من الطلبة و نسبهم في كل اختصاص منذ تطبيق الإصلاح

.*

¹¹*- المصدر : محمد العربي ولد خليفة - المهام الحضارية للمدرسة و الجامعة الجزائرية - د.م.ج - الجزائر 1989 - ص 112.

إن الأرقام التي يتضمنها الجدول توضح كيف أنه بعدما كان في سنة 1970-1971 م العدد الإجمالي لخريجي مجموع الاختصاصات المذكورة، قد وصل إلى (1244 طالبا و طالبة) فهذا الحجم قد إرتفع سنة 1976 - 1977 م ليصبح (5278 طالبا و طالبة) ؛ و من جهة أخرى يبدو أن الإصلاح قد أعطى صورة أخرى لنظام سير الدراسة ؛ فمثلا يمكن ملاحظة الزيادة في حجم المعلومات الاقتصادية التي يتلقاها الطالب : " **فبينما كان الطلبة في النظام القديم خلال الأربع سداسيات الأولى يحصلون على (220 ساعة) دراسة في الفروع الاقتصادية أصبح حجم الساعات الدراسية في الجذع المشترك الآن (1280 ساعة)**"⁽¹⁾ و من هنا فإن الإصلاح الجامعي قد أفاد نتائج مختلفة أعطت للجامعة دورا و مكانة خاصة داخل المجتمع.

2-II. الجامعة الجزائرية اليوم و طلبتها :

شهدت الجامعة في الجزائر تحولات عميقة ابتداء من مشروع 1971 م الذي قال عنه (عبد الرحمان بوزيدة) : " يعتبر هذا الإجراء من العمليات الأساسية و الذي يتمثل في القضاء على بقايا الاستعمار و الجامعة الموروثة من القديم، و الذي جاء الإصلاح للقضاء عليها و إنشاء محلها جامعة جزائرية وطنية"⁽¹⁾.

¹² - مراد بن أشنهو - مرجع سبق ذكره - ص 40.

¹³ بكاي مولاي أحمد - بطول بلمكي - الأصل الإجتماعي للطلبة- مذكرة ليسانس في علم الاجتماع - السنة الدراسية 1982-1983- ص 3-

2- بكاي مولاي أحمد - بطول بلمكي - مرجع سبق ذكره - ص 1.

و للوقوف على هذه التحولات سنتناول بالدراسة و التحليل حجم الجامعة من حيث التطور الكمي، ثم دورها و وظيفتها في نشر الوعي و ارتباطها في ذلك بالمجتمع.

أ- حجمها :

إن التعليم العالي يشكل أعلى مرحلة من مراحل التعليم و هو يأخذ مكانة هامة نظرا للدور الذي يلعبه بالمقارنة مع المراحل التعليمية الأخرى، فهو مؤسسة توفر كل الإمكانيات المتاحة و الشروط المناسبة للثورة العلمية و التقنية و إنتاج العلم و المعرفة و هذا على الأقل من الناحية النظرية.

فإذا كانت الجامعة تعرف " بأنها المكان الذي تلتقي فيه مختلف التخصصات أو على الأقل نوع من هذا القبيل " (2) فهذا يعني أن أساسها و محركها الأولي هم الطلبة، إذن بأي حجم بلغه عدد الطلبة داخل هذه المؤسسة عبر مسارها الاجتماعي و التاريخي ؟.

لقد حدث تغير سريع و هائل في حجم الطلبة داخل الجامعة في الجزائر، فبعد ما كان العدد الإجمالي للطلبة سنة 1962-1963 م (2725 طالبا و طالبة) فإن هذا الحجم ارتفع سنة 1970-1971 م إلى (19311 طالبا و طالبة) ثم بلغ سنة 1980-1981 م

(66067 طالباً و طالبة) ليصل سنة 1986-1987 م إلى (146200 طالباً و طالبة) ثم أصبح هذا العدد سنة 1990-1991 م (196263 طالباً و طالبة) و من المتوقع أن يتجاوز هذا العدد (226000 طالباً و طالبة) بحلول سنة 2000 م و للتوضيح أكثر ننظر إلى الجدول رقم (5 - II) كما هو مبين في الصفحة الموالية.

و ضمن هذا المنظور للتطور العددي و الكمي للطلبة داخل المؤسسة الجامعية، فإن حجم الطالبات كما يبينه الجدول الموالي (4 - II) فإن نسبتهن للمجموع العام تقدر بـ 23.60% سنة 1974-1975 م و ارتفعت هذه النسبة سنة 1978-1979 م إلى 24.61% و هي في تصاعد مستمر مواكبة للتطور الاقتصادي و الاجتماعي للمجتمع الجزائري.

السنة	المجموع	الذكور	الإناث	المجموع
1974-1975	27258	8422	35680	
1978-1979	38833	12677	51510	

جدول (II-4). - تطور أعداد الطلبة حسب الجنس -

السنة	عدد الطلبة
1962-1963	2725
1963-1964	3565
1964-1965	5425
1965-1966	6883
1966-1967	7478
1967-1968	8735
1968-1969	9794
1969-1970	12243
1970-1971	19311
1971-1972	23413
1972-1973	26074
1973-1974	29465
1974-1975	35739
1975-1976	41709
1976-1977	50094
1977-1978	51893
1978-1979	51510
1979-1980	57445
1980-1981	66067
1981-1982	72590
1982-1983	90145
1983-1984	97000
1984-1985	103013
1985-1986	119665
1986-1987	146200
1990-1991 *	196263
أفاق 2000	226000

جدول (5 - II) .

- تطور أعداد الطلبة بالتدرج (1962-1991) *

*15 المصدر - الإحصائيات الجارية - نشرة رقم 1 - أكتوبر 1987 - الديوان الوطني للإحصائيات - ص 33.
* المصدر : الندوة الوطنية لرؤساء الجامعات - المدرسة الوطنية للإدارة - الجزائر 08/04/1992 - ص 4.

و كل ذلك يدل على أن هذه الزيادة العددية المتسارعة لأعداد الطلبة مرتبطة أولا بالزيادة السكانية العامة حيث تشهد الجزائر انفجارا سكانيا كبيرا، و من جهة أخرى أخذت الجامعة تستقطب أعدادا هائلة من الطلبة ارتباطا بتزايد أهمية التعليم العالي في المجتمع، حيث أصبحت الجامعة مؤسسة ذات أهمية اجتماعية و ثقافية تحولت إلى مركز لتطلعات جميع أفراد

المجتمع " ففي تحقيق أجري سنة 1982 م على تلاميذ ثانويين من مدينة وهران بلغ عددهم 400 تلميذ تقريبا، قد تم تسجيل نسبة 84.67 % من التلاميذ من مختلف الفئات الاجتماعية يتمنون مواصلة دراستهم بالجامعة "⁽¹⁾، فهذه الملاحظة تبين أن الجامعة تحتل مكانة مركزية ضمن اهتمامات تلامذتنا من مختلف الفئات الاجتماعية.

ب- تطورها :

¹⁷ 1- Mohamed Benali-Ideologie du developpement et attitudes des étudiants algeriens-Thèse de doctorat du 3^{ème} cycle en sociologie-paris-1987- Optic cité P : 85.

إن التطور الهائل و المتسارع لحجم الجامعة الجزائرية لم يمس فقط الناحية العددية كما رأينا سابقا و إنما صاحب ذلك كله تطورا كبيرا من حيث التأطير و الهياكل البيداغوجية و المناهج الدراسية من حيث المحتوى و الشعب، فقد تطورت الشبكة الجامعية من عشر مدن جامعية بين 1979 - 1980 م إلى ثلاثين مدينة جامعية سنة 1990 = 1991 م أما عدد المقاعد البيداغوجية فقد تطور من 47000 مقعد بيداغوجي سنة 1978 - 1979 م إلى 180000 مقعد سنة 1990 = 1991 م وهذا بعجز قدر بـ 10000 مقعد، أما من حيث الإيواء فإن الأحياء الجامعية تقدم حوالي أكثر من مائة ألف سرير، أما من حيث التأطير البيداغوجي فقد بلغ عدد الأساتذة سنة 1962 = 1963 م حوالي (82 أستاذ جزائري) ليصل إلى عدد 14167 أستاذ جزائري من مجموع 15171 أستاذ سنة 1990 = 1991 م حيث بلغت نسبة الجزائر حوالي أكثر من 93.3 % ؛ كما و أن عدد الشهادات الممنوحة للمتخرجين قد بلغت ما بين 1962 م إلى 1971 م حوالي 485 طالبا و طالبة يتخرجون سنويا أغلبهم من العلوم اربصاحيه و اربصاحيه ليتطور هذا العدد إلى (32027 متخرج) بين 1970 = 1980 م، أما بين 1980 - 1990 م فقد بلغ عدد المتخرجين حوالي 171500 بمعدل 14291 متخرج سنويا.

و يبين الجدول الموالي (6 = II) نفقات الدولة المخصصة لقطاع التعليم العالي و الكميات الخاصة بالبحث العلمي.

1992	1991	1990	السنوات القطاع
10.063.804,000	7.052.000,000	5.643.945,000	نفقات تسيير قطاع التعليم العالي
160.000,000	148.250,000	103.300,000	نفقات البحث العلمي

الوحدة: مليار دينار جزائري

جدول (II-6). *

لقد بلغت نسبة النمو في ميزانية تسيير قطاع التعليم العالي 24.04% ما بين 1990-1991 م و السنة الموالية 1991 - 1992 م قفزت إلى 42.70% أما من حيث البحث العلمي فبالإضافة إلى الأرقام التي نلاحظها في الجدول فإننا نضيف على أن مشاريع البحث التي بلغ عددها سنة 1988 - 1989 م حوالي 420 مشروع بحث فقد وصل عددها إلى 828 مشروع بحث علمي سنة 1991 - 1992 م و إن تبدو قليلة جدا مقارنة بدول أخرى ذات تطور كبير في مجال البحث العلمي و التعليم العالي.

¹⁸* المصدر: الندوة الوطنية لرؤساء الجامعات - مرجع سبق ذكره - ص 6.

إن هذا التطور الذي شهدته الجامعة الجزائرية قد عكسته أيضا النصوص التشريعية و القانونية المنظمة لها ؛ حيث توسعت النظرة العامة للجامعة من مؤسسة تابعة للدولة و تخدم إيديولوجية و مصالح النظام الحاكم، إلى وسيلة للاقتراح و التغيير الديمقراطي حيث : " **ينبغي على الجامعة أن تكون الإطار المثالي للتغيير و قوة للاقتراحات و الحوار الديمقراطي البناء، و لهذا فنجاح الديمقراطية** " (1) .
يتوقف على مدى ازدهارها داخل المجتمع الجامعي (1) .

إن هذا التطور الذي شهدته الجامعة الجزائرية منذ الاستقلال حتى اليوم جعل لها دورا في احتواء الكثير من الطموحات و التطلعات لأعداد هائلة من الطلبة يعتبرون و لو على المستوى النظري نخبة المجتمع و طليعته، لذا فمن المأمول أن تكون هذه المؤسسة أداة أساسية لبناء و تأسيس وعي سياسي لدى أعضائها ضمن سيرورتها في إنتاج الأفكار و المعارف الإنسانية، فمن البديهي أن نتساءل عن دورها في بناء الوعي لدى الطلبة و ما هي أشكال التفاعل داخل هذا الحرم الجامعي ؟ و كيف يرتبط كل ذلك بالثقافة الوطنية السائدة في المجتمع؟.

II-3. دور الجامعة الجزائرية في نشر الوعي :

¹⁹1- وزارة الجامعات و التعليم العالي (الديوان)- الندوة الوطنية لرؤساء الجامعات- مرجع سبق ذكره- ص 94.

إن الجامعة هي مؤسسة لها أهداف اجتماعية و سياسية و ثقافية معينة، فمن خلال وظيفتها في نشر الأفكار و الرؤى و المعارف النظرية و التقنية و المهارات، يبدو و أنها تقوم على أساس شكل من الوعي المحدد، فهل هذا الوعي مرتبط بالمجتمع و بجميع تركيباته الاجتماعية أم أن ما تفرزه الجامعة من تصورات و وعي هو فقط ملاذ إيديولوجي (Un refuge idéologique) لفئة اجتماعية تضمن من خلاله سيطرتها السياسية و الاقتصادية على المجتمع ؟

فمن جهة ينظر إليها النظام السياسي على أنها غير منسجمة مع محيطها كما ورد في إحدى خطب الرئيس هواري بومدين سابقا قوله : " لقد قلت في مرة سابقة بأن جامعتنا ليست منسجمة مع المحيط الذي توجد فيه و بأنها تعيش معزولة داخل أسوار يجب تحطيمها تحقيقا لتفتح الجامعة على ما حولها، و المطلوب الآن هو أن نوفق بين الجامعة و المحيط " (1).

²⁰1- خطب الرئيس هواري بومدين- (1974-1973) منشورات وزارة الإعلام و الثقافة- الجزائر - ص 15.

و يمكن أن تدرج أيضا هذه الفكرة عن الجامعة و عدم انسجامها ليس فقط في منظور الرجل السياسي و لكن أيضا في منظور أحد المثقفين بقوله : **" إن الجامعة غير مؤهلة منذ ثلاثين سنة لبناء علوم الإنسان و عاجزة في نفس الوقت أن تمد المجتمع الجزائري بالصورة العريقة التي تميزه و تمثله و تُعرِّفه "** (2) و عليه فإن وظيفة الجامعة لا يمكن فهمها إلا بفهم واقع و شروط وجودها، فالملاحظة السوسولوجية لدور الجامعة تمكنا من أن نكتشف سلطتها في إنتاج تنظيم و إعادة

إنتاج العلاقات داخل المجتمع حيث تتكفل بتكوين فئة عريضة من المجتمع هم الطلبة الذين يمثلون إطارات المستقبل.

إن القيم الثقافية و الفكرية و السياسية التي تكرسها الجامعة في وعي طلبتها تتخذ ثلاث منحنيات تتماشى أحيانا و تتعارض حتى درجة التناقض في أحيان أخرى مع قيم المجتمع و ثقافته ؛ فهي مرة تكون نمطا للقيم العامة السائدة في المجتمع و تابعا لها، و مرة أخرى تحاول إنتاج قيم انطلاقا من فكرة الريادة و إنتاج النخبة و تكون في أحيان كثيرة جزء من الحس المشترك العام حيث تتلاشى الحدود بين ما هو موضوعي علمي و ما هو شعبي فلكلوري فالقيم **" لها دور هام في الحياة الاجتماعية ، و لكن أغلب العلاقات الإنسانية لا تستند فقط إلى وقائع وضعية أو موضوعية و إنما إلى أحكام قيم أيضا (Jugements de valeur) "** (3).

212- Ahmed Benaoum - Democratie، législatives et tribalisme – le journal « Horizons » -Mercredi 5 juin 1991-p 8

322- محمد فايز عبد أسعيد- الأسس النظرية لعلم الاجتماع السياسي- دار الطليعة- بيروت ط 1- مارس 1983 - ص 38.

إن الجامعة عبر العالم قد لعبت دورا أساسيا في إحداث تغييرات اجتماعية و سياسية عميقة خاصة في فترة اشتداد صراع الإيديولوجيات في العالم، وهي في الجزائر- خاصة في فترة السبعينات و الثمانينات -، مثلت حقا لتصارع التيارات السياسية و الفكرية المختلفة و لكن طبيعة النظام السياسي في الجزائر حدّت من انبثاق التطور الفكري في إطار السيرة التاريخية الطبيعية لهذه المؤسسة.

إن الجامعة في الجزائر مراقبة و لكنها غير موجهة، بما يمثل ذلك ارتباطا بغموض المشروع الوطني و تذبذبه وفق التغييرات و الهزات السياسية التي شهدتها الجزائر المستقلة، و عليه فإن وظيفة بناء الوعي السياسي لدى طلبة الجامعة ارتبطت بكل هذه التوترات و الصراعات داخل المجتمع " فالجامعة بوضعها الحالي لا تساهم في ترقية الوعي السياسي و الفكري و الثقافي للفرد الجزائري، و هذا لانصرافها عن مهمتها العلمية و خضوعها بالتالي لتأثيرات المجتمع فعوض أن تكون موجهة له صار موجهها لها... " (1) هذا موقف أحد أعضاء الجامعة كإطار بها و هو ما يعبر عن منحى عام قد يسجل بمجرد الملاحظة المباشرة.

إذن فمن الموضوعي التساؤل عن كيفية ارتباط الجامعة بعوامل أخرى اجتماعية و اقتصادية و سياسية في نشر الوعي و بنائه لدى أعضائها، و عليه أفلا يمكن تصور أن الطلبة داخل الهرم الجامعي يتحدد و عيهم السياسي بناء على وضعياتهم و أصلهم الاجتماعي و الجغرافي، و بناء أيضا على ما يفرزه التخصص الدراسي من نوعية خاصة من الوعي السياسي.

1²³- عبد الرزاق بوبندير - الجامعة و السياسة (ندوة) - جريدة « العقيدة » - الأربعاء 29/01/92 - ص 18، 19.

و كذلك ألا يعتبر عامل الجنس مهما ضمن مجتمع و بالتالي جامعة تتميز بنوع من "الروح الذكورية " كما تبين ذلك من خلال إقام الجداول الخاصة بتطور أعداد الطلبة.

فهل يمكن له هذه العوامل أن تلعب دورا خاصة في بلورة شكل من الوعي السياسي لدى الطالب الجامعي ؟ و ما هي إمكانيات و حدود اشتغالها لصياغة هذا الوعي ؟ و كيف تظهر هذه التأثيرات في وعي الطلبة من خلال مواقفهم و تصوراتهم لقضايا سياسية، مثل الممارسة السياسية، و الانتخابات، و الاختيارات السياسية ؟ و كيف يؤدي كل ذلك إلى ارتباط الوعي السياسي الطلابي بأشكال أخرى من الوعي ؟ هذه الأسئلة و غيرها سنحاول أن نجيب عنها بين طيات التحليل الموضوعي للمعطيات الميدانية فيما تبقى من فصول هذا البحث.

III-1. المحيط الاجتماعي للطالب :

نقصد بالمحيط الاجتماعي للطالب مجموع الظروف الاجتماعية التي تحيط به خارج المجال الدراسي الجامعي، و أسسها أصله الاجتماعي و الفئة الاجتماعية التي تنتمي إليها بالإضافة إلى المنطقة الجغرافية التي تنتمي إليها حيث ساكن المدينة غير ساكن الريف، كما أن سكان الشمال تختلف تفاصيل ظروفهم الحياتية عن سكان الجنوب، و عليه فإنه من المعروف في علم الاجتماع أن الفهم الموضوعي لظاهرة سوسولوجية يتطلب الإحاطة و فهم ما يحيط بها و يرتبط بها من ظواهر أخرى و شبكة العلاقات التي يحددها هذا الارتباط، حيث سنعالج أيضا في هذا الجزء الثاني من هذا الفصل المحيط الجامعي الدراسي للطالب و تأثيره على وعيه السياسي.

أ- الأصل الاجتماعي و الاختبار الدراسي للطالب :

إن الكثير من الدراسات و البحوث السوسولوجية التي تناولت الجامعة كموضوع للدراسة و البحث كانت تركز على عنصر الأصل الاجتماعي كمعيار أساسي لدراسة مختلف المواضيع و الأفكار التي تركز عليها الجامعة كمؤسسة اجتماعية تعمل على إنتاج الرأسمال الفكري و الحضاري للمجتمع، و بالتالي تفرز نمطا معيناً من الإنتاج و إعادة الإنتاج لشكل خاص و متميز من العلاقات الاجتماعية و التراتبات الإيديولوجية، و في هذا السياق يدخل تحليلنا لكيفية التدخل التي يمارسها عنصر الأصل الاجتماعي في بناء و تحديد طبيعة و شكل الوعي السياسي.

يعتبر (F.Engels) في إحدى مقولاته " إن اللامساواة في التعليم هي الصورة الأكثر تعبيراً عن اللامساواة الأخرى في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، وهي الانعكاس المباشر لموقع كل فئة أو طبقة اجتماعية من ملكية وسائل الإنتاج داخل المجتمع"⁽¹⁾ لذلك فإن تحليلنا لعينة البحث قصد دراسة علاقة الأصل الاجتماعي بالاختبار الدراسي ينطلق من تحليل (Engels) هذا.

إن فكرة الاختصاصات الدراسية داخل الجامعة، و حظوظ الالتحاق بهذه الشعبة أو تلك ترتبط باختلاف الأصول الاجتماعية و المهنية للطلبة، و التي تحدّث عنها (P.Bourdieu) و (J.C.Passeron) في كتابهما (Les héritiers)⁽¹⁾ تدفعنا إلى الملاحظة أن النسبة العالية من أبناء العمال و الأجراء ترتكز في كل من معهدي علم الاجتماع 37.77% و الحقوق 40.0% و ذلك مقارنة بمعهد الإعلام الآلي 10.0% (الجدول 1- III).

¹1-F.Engels – Critique de l’education et l’enseignement – Ed : Maspéro – Paris 1976 – P 285.

²1- P.Bourdieu et J.C.Passeron – les héritiers – op cit.

و نفس الملاحظة تتكرر عندما يتعلق الأمر بمهنة الجد حيث تشكل نسبة الطلبة الذين ينحدرون من أصل الفلاحين الصغار في كل من معهدي علم الاجتماع و الحقوق 44.45% و 24.0% على التوالي، في حين لا تتعدى هذه النسبة 07.5% بمعهد الإعلام الآلي ؛ و لكن يجب أن نشير إلى أن التقارب الحاصل بين معهدي علم الاجتماع و الحقوق ليس مطلقا، حيث يمكن ملاحظة الاختلاف الكبير بينهما إذا ما تعلق الأمر مثلا بالطلبة الذين ينتمي آباؤهم إلى فئة المهن الليبرالية (جدول 1 - III) فنجد نسبة هؤلاء منعدمة تماما (0.0%) بمعهد علم الاجتماع في حين تصل إلى 6.0% بمعهد الحقوق، لذلك فإننا نفسر التشابه الحاصل بين طلبة المعهدين فيما يخص أبناء فئة العمال و الأجراء، بارتفاع عدد الطلبة الحقوق في السنة الثالثة (314 طالب و طالبة) في حين يبلغ عددهم في معهد علم الاجتماع في نفس السنة (48 طالبا و طالبة) فقط ؛ لذلك نلاحظ في الجدول (III-2) أن نسبة طلبة علم الاجتماع الذين أجداهم ضباط عسكريون منعدمة تماما، و ذلك مقارنة بطلبة الحقوق 40% أو طلبة الإعلام الآلي 5.0%.

إننا نؤكد هنا على الملاحظة التالية : إن طلبة الإعلام الآلي عموماً هم الذين يمثلون أبناء الفئات الاجتماعية العليا، في حين يأتي طلبة الحقوق في مرتبة وسطى و ذلك قبل طلبة علم الاجتماع الذين يمثلون أبناء الفئات الاجتماعية الدنيا.

إن هذه الملاحظة وإن كانت غير مطلقة، إلا أنها توحى لنا بطبيعة الاختيار و التوجيه نحو شعبة دراسية معينة و علاقة ذلك بالأصل الاجتماعي للطالب أو الطالبة، حيث أن اختيارات الطلبة تنطلق من حيث مكانة الشعبة الدراسية و قيمتها الرمزية داخل المجتمع، و مدى توفيرها بعد التخرج لمهنة راقية و ذات قيمة اجتماعية ؛ و هنا تطرح عدة علامات استفهام حول طبيعة و أصل التوجيه الجامعي للطلبة، حيث نقرأ في إحدى المذكرات لنيل شهادة الليسانس في علم الاجتماع بعنوان : " **الأصل الاجتماعي للطلبة** " ما يلي : " **إن الانتماء الاجتماعي لطلبة العلوم الاجتماعية يرجع إلى فئة الفلاحين و العمال و التجار أي الفئات الدنيا ؛ في حين نجد أن الانتماء الاجتماعي لطلبة العلوم الطبية يرجع بالأساس إلى الفئات العليا مثل أصحاب المهن الحرة، المهندسين، و مدراء المؤسسات** " (1).

1³- بكاوي مولاي أحمد و بطول بلمكي - الأصل الاجتماعي للطلبة - مرجع سبق ذكره - ص 11.

و تبعا لذلك نلاحظ أن مجموع طلبة و طالبات علم الاجتماع الذين ينتمون إلى الفئات الاجتماعية الدنيا و هذا انطلاقا من مهنة الجد (جدول 2 - III) تمثل نسبتهم 55.56% و ذلك مقابل 15.0% في معهد الإعلام الآلي، و في نفس الجدول نجد أن نسبة الطلبة الذين ينتمون إلى الفئات العليا و المتوسطة بعلم الاجتماع تبلغ 17.77% في حين تشكل نفس الفئة 32.5% بالإعلام الآلي، أما في معهد الحقوق فإن نسبة الفئة الأولى تقدر بـ 26.0% مقابل 22.0% للفئة الثانية.

أما الملاحظة الأخرى التي يمكن تسجيلها في نفس السياق هي أن الطالبات يشكلن النسبة الأكبر فيما يخص الانتماء الاجتماعي لفئات عليا و متوسطة، حيث نلاحظ من خلال الجدول (1 - III) أن نسبتهم تبلغ مجموعا عاما يصل إلى 78.34% مقابل 38.67% بالنسبة للطلبة الذكور، في حين نجد هؤلاء يشكلون 41.33% بالنسبة للفئات الاجتماعية الدنيا، بحيث لا تتجاوز هذه النسبة 16.67% لدى الطالبات.

هنا نؤكد أن الابن له الحظ أكثر بالالتحاق بالجامعة مهما كانت الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، و ذلك مقارنة بالفتاة التي غالبا ما تحرم من التعليم الجامعي^٣ إذا كانت تنتمي إلى فئة اجتماعية دنيا، كما أن المستوى التعليمي للآباء - خاصة الأب - يلعب دورا في تحديد علاقة الفتاة بالتعليم، و هذا ما يفسر ارتفاع نسبة الأمية في المجتمع بصفة عامة لدى الإناث مقارنة بالذكور؛ فالأب غير المتعلم غالبا ما يحرم إبنته من الالتحاق بالمدرسة و الجامعة على الخصوص، و هذا ما نلاحظه مثلا في الجدول (3 - III) حيث نسبة الآباء الأميين 38.66% مقابل 11.66% بالنسبة للإناث، في حين نجد أن نسبة الآباء المدين لهم مستوى تعليمي عالي (جامعي) بالنسبة للإناث تبلغ 15.0% مقابل 4.0% بالنسبة للذكور، و نفس الملاحظة يمكن تسجيلها حينما يتعلق الأمر بالمستوى التعليمي للأم جدول (4 - III) حيث أن الطلبة المدين لم تتلقى أمهاتهم أي تعليم، تبلغ نسبتهم 52.0% مقابل 33.34% بالنسبة للطالبات، في حين نجد أن نسبة أمهات الذكور اللواتي لهن مستوى تعليمي عال منعدمة (0.0%) مقابل 6.66% بالنسبة للإناث.

إن الفكرة العامة التي يمكن تسجيلها هي أن مجموع طلبة و طالبات المعاهد الثلاثة (علم الاجتماع، الحقوق، الإعلام الآلي) الذين ينتمون إلى فئات اجتماعية عليا و متوسطة يشكل نسبة 56.31%، في حين نجد أن نسبة هؤلاء من الفئات الدنيا تبلغ 34.31% وهذا ما يعني أن " **الفئات الاجتماعية الأكثر تمثيلا في التعليم العالي هي الأقل تمثيلا ضمن الفئات**

الاجتماعية العاملة ⁽¹⁾، وهذا ما يؤكد الفكرة التي تقول بأن فئة الطلبة تمثل فئة البورجوازية الصغيرة في المجتمع.

إن فكرة إعادة إنتاج المكانة الاجتماعية من خلال التعليم الجامعي، و التي تعني أن الطالب أو الطالبة يختار شعبة دراسة معينة انطلاقاً من أصله الاجتماعي الذي يعني انتمائه المهني و الاجتماعي، إن هذه الفكرة تطرح من خلال طبيعة العلاقة التي تربط الطالب أو الطالبة بعائلته، و نظرة هذه الأخيرة للتعليم الجامعي و مكانته داخل المجتمع، لذلك فإن " الطلبة الأكثر رقياً اجتماعياً لا يرتبطون بعائلاتهم فقط من العادات و التقاليد و السلوكات الاجتماعية التي تخدمهم بشكل مباشر في حياتهم الدراسية ؛ بل إنهم يرثون أيضاً، المعارف، و كيفية الحياة، و فن التصرف (Savoir faire) ضمن رصيدهم المدرسي" ⁽²⁾.

⁴1- P.Bourdieu – J.C.Passeron – op cit – p 11.

⁵2- P.Bourdieu – J.C.Passeron – op cit – p 30.

وإن التدخل المباشر الذي تمارسه الأسرة على الطالب أو الطالبة في اختيار شعبة معينة دون أخرى في المجتمع الفرنسي مثلا و الذي تحدث عنه (P.Bourdieu) و (J.C Passeron) في بحثهما حول الطلبة و الثقافة «⁽³⁾ Les héritiers لا يمكن حسب رأينا تعميمه بصورة مطلقة، أو على الأقل تبنيه بتحفظ في جميع المجتمعات و أنماط الإنتاج السائدة ؛ فعندما نتحدث عن هذه الفكرة داخل المجتمع الجزائري يجب أن نأخذ بعين الاعتبار عدة معطيات و عناصر، حيث من الواجب أن نعرف طبيعة النمط الإنتاجي السائد و كذا مكانة الجامعة و سلطتها داخل المجتمع، و بالتالي شكل العلاقة و مدى وضوحها بين مختلف الفئات الاجتماعية.

⁶3- يعتمد هذا البحث على دراسة ميدانية و تحليل جداول إحصائية في أوساط الطلبة بفرنسا يمكن ترجمة عنوانه الكامل كما يلي : - الورثة - الطلبة و الثقافة.

و انطلاقا من هذه الفكرة الأخيرة لعله من الشرعي طرحنا لعدة تساؤلات حول نظرة المجتمع الجزائري للجامعة، بل و حتى على وضعية الجامعة الجزائرية من جميع النواحي و خاصة خلال العشر سنوات الأخيرة، كما يحق لنا أن نتساءل عن مكانة المثقف و سلطته الرمزية داخل المجتمع، و بالتالي عن قيمة التعليم العالي ضمن الأسس و القيم التي يرتكز عليها نمط العلاقات الاجتماعية السائدة.

إن فحوى الأفكار السابقة تجعلنا نصيغ بعض الاستنتاجات السوسولوجية المتعلقة بعنصر العلاقة بين الأصل الاجتماعي و الاختيار الدراسي للطلبة.

أولا : إن شكل العلاقة بين الطالب و الطالبة و عائلته و وعيه حول انتمائه الاجتماعي يعطي معنى خاصا لشكل القرار المتخذ لاختيار شعبة الدراسة الجامعية.

ثانيا : إن فكرة إعادة إنتاج المكانة الاجتماعية من خلال التعليم الجامعي ؛ و التي تعني أن الطلبة يختارون شعبهم الدراسية انطلاقا من انتماءاتهم المهنية و الاجتماعية تبدو واضحة عند المقارنة السالفة بين الفئات المختلفة الواردة في الجداول الإحصائية بين طيات هذا البحث.

ثالثا : إن ضعف تدخل العائلة المباشر فيما يخص اختيار الشعبة الدراسية لا ينفي مطلقا أن الفروقات الطبقية بين الطلبة تنتفي داخل الإطار التعليم الجامعي ؛ بل بالعكس إن هذه الفروقات تتدخل بشكل مباشر في صياغة وعي عام لدى الطالب يرتبط مباشرة بوضعيته الاجتماعية.

رابعاً : إن الطالب و الطالبة يملك وعياً مباشراً و يديها عن مكانته الاجتماعية داخل الجامعة انطلاقاً من انتمائه المهني و الاجتماعي حيث يتدخل هذا الانتماء في تحديد بنية و وظيفة شبكة العلاقات الاجتماعية للمجتمع الطلابي.

ب- الأصل الاجتماعي و الوعي السياسي للطلاب :

إن اختيارنا لفرضية الأصل الاجتماعي كمحدد رئيسي لكيفية بناء الوعي السياسي عند الطلبة، ينطلق من اعتقادنا بأن الأصل الاجتماعي، زيادة على تحديده للبنيات الاجتماعية و الاقتصادية داخل المجتمع، و تحديده لشكل العلاقات الاجتماعية السائدة ؛ فإنه الأساس الحيوي لبناء الوعي الاجتماعي لدى الأفراد و الفئات الاجتماعية و ذلك حسب الانتماءات الطبقية المختلفة.

إن شكل المعرفة السياسية الأكثر مباشرة و عفوية و ابتذالا يبدأ من الأسرة بحيث أن شكل هذه الأخيرة " يستوجب إدخال المعرفة السياسية إذا عني بذلك من جهة الأقارب و الأهل، معرفة الإستراتيجية التي ينبغي الاعتماد عليها في تربية أبنائهم و تأهيلهم، و عني بها من جهة الأبناء معرفة وسائل حصولهم من أهلهم على أقصى حد من الحرية"⁽¹⁾.

⁷1- جورج غور فيتش - الأطر الاجتماعية للمعرفة - ترجمة خليل أحمد خليل - المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر - بيروت - ط 1 - 1981 - ص 97.

إننا نقرأ في الجدول (5 - III) أن نسبة 70.37% من أولياء الطلبة و الطالبات بالنسبة للمعاهد الثلاث مجتمعة، غير منخرطين في أي حزب سياسي، و هنا نشير إلى أنه يمكننا إجراء مقارنة بين هذا الجدول و جدول آخر (1 - IV)* يمثل نسب انخراط الطلبة أو عدمه في الأحزاب السياسية ؛ نلاحظ أن نسبة الطلبة غير المنخرطين في أي حزب سياسي تشكل 82.96% و نشير هنا إلى تقارب هذه النسبة مع نسبة الآباء المذكورة سابقا ؛ و نستمر في المقارنة حيث نسجل أن نسبة أولياء الطالبات غير منخرطين في أي حزب سياسي 76.66% أعلى من نسبة أولياء الذكور 65.33%، و نفس الملاحظة تتكرر لما نقرأ الجدول الخاص بالطلبة حيث تبلغ نسبة الطالبات غير المنخرطات في أي حزب سياسي، 90.0% مقارنة بالطلبة الذكور 77.33%، و إن الشيء الذي يثير الانتباه هنا أن الفرق بين النسبة

⁸*- أنظر الفصل الرابع من هذا البحث - الجدول (1 - IV) ص : 105.

الأولى و النسبة الثانية في جدول الآباء و التي تبلغ 11.33% يقترب كثيرا من الفارق بين نسبة الذكور و نسبة الإناث في جدول الطلبة و الأحزاب السياسية و الذي يبلغ - أي 12.67%.

إن هذه العلاقة بين مواقف الآباء و مواقعهم من الأحزاب السياسية، و مواقف الطلبة و الطالبات و مواقعهم من الأحزاب السياسية، تثير العديد من الأسئلة، حيث أننا نلاحظ تناسبا و تشابها كبيرين بين الجدول (5 - III) و الجدول (1 - IV) في التفاوت بين النسب المتعلقة بعدم الانخراط السياسي في الأحزاب " فالأفراد يتحركون دائما وفق مجموعة الانتماء المرجعية، بحيث يجسمون تصورا يظنون أنه واقعي بينما يفرزون في حقيقة الأمر معتقداتهم"⁽¹⁾.

يرجع هذا الارتباط إلى مفهوم الثقافة السياسية (Culture politique) بمعناه الشامل الذي يعني فيما يعنيه " إرث من المعارف و المعتقدات و القيم التي تعطي معنى للتجربة الروتينية للأفراد في علاقاتهم بالسلطة التي تحكمهم و الجماعات التي تخدمهم كمرجع لهوياتهم و انتماءاتهم"⁽²⁾؛ و عليه نريد أن نتوصل من خلال هذه التبريرات إلى أن الفئات الاجتماعية العليا و المتوسطة هي الأقل مشاركة في الأحزاب السياسية مقارنة بالفئات الدنيا، فإذا جمعنا مثلا النسب الخاصة بانخراط الوالدين أو أحدهما (الأب و الأم) كما في الجدول (III-5) للمعاهد الثلاثة نلاحظ ما يلي : في معهد علم الاجتماع تبلغ النسبة 26.67% أما بالنسبة للحقوق فتبلغ 18.0% و الإعلام الآلي 12.50% .

⁹1- محمد باشوش - المحددات الاجتماعية و الثقافية للنجاح بالجامعة التونسية - سلسلة علوم التربية عدد 3 تونس 1992 ص 106.

¹⁰2- Philippe Braud - Manuel de sociologie politique- L.G.D.J- Paris 1992. P:254

إننا نرى هنا بأن المستوى التعليمي أيا كان نوعه (قرآني - ابتدائي - متوسط - ثانوي - جامعي) يعمل على عزل الآباء عن الممارسة السياسية عبر الانخراط في الأحزاب ؛ حيث نسجل مقابل ارتفاع نسبة أولياء الطلبة و الطالبات المنخرطين في الأحزاب السياسية بمعهد علم

الاجتماع كما ذكرنا سابقا، انخفاضاً في نسبة المذنبين لهم مستوى تعليمي معين 57.18%، و ذلك دائماً مقارنة بمعهد الحقوق 82.0% أو معهد الإعلام الآلي 62.50% اللذين تنخفض فيهما نسبة الآباء المنخرطين في أي حزب سياسي و ذلك مقارنة بمعهد علم الاجتماع.

يمكن اتخاذ هذه الأفكار و التحليلات كقاعدة أساسية لتقديم استنتاجات سوسولوجية علمية حول علاقة الأصل الاجتماعي بصياغة و بناء الوعي السياسي لدى الطلبة و الطالبات ؛ فإن هذه العلاقة بالإضافة إلى تأكيدها من خلال التحليلات الإحصائية السابقة، فإن البحوث النظرية و التطبيقية التي أنجزت منذ تأسيس علم الاجتماع كبناء معرفي قائم بذاته تشير إلى هذا الارتباط كمحور أساسي في الحياة الاجتماعية للأفراد و الجماعات.

أولاً : من حيث دور العائلة و خاصة في صياغة شكل الوعي السياسي لدى الطالب و الطالبة ؛ فإننا نسجل عملية الاكتساب لمواقف و تصورات سياسية لدى الطلبة و الطالبات من خلال عملية تقليد و إعادة إنتاج مواقف و تصورات الآباء و هو ما تؤكد الفكرة التي مفادها أنه : " **من أهم مسؤوليات الأسرة إعداد الفرد و لا سيما الناشئة نفسياً و جسماً و عاطفياً و اجتماعياً، و ذلك بواسطة تغذيته بالأسس السليمة للحياة و العمل في المجتمع و تزويده بالمهارات و**

المواقف الأساسية التي يحتاجها للتفاعل مع متطلبات و محددات الثقافة المجتمعية¹¹ .

ثانيا : إن هذا التقليد في المواقف أو بمعنى آخر اكتساب وعي سياسي عن الوالدين بيدوا أكثر وضوحا لدى الفئات الاجتماعية العليا و المتوسطة التي لعلها ترى في الجامعة " مرحلة عمرية كل شيء فيها ينبغي أن يكون محسوبا بدقة متناهية من قبل الطالب و اهله، لان هذه المرحلة هي التي تضعه في مواجهة المجتمع و أعباء الحياة¹¹، أكثر منه لدى الفئات الاجتماعية الأخرى.

ثالثا: تبدو فكرة اكتساب المواقف و الأفكار السياسية عن الأسرة أكثر بروزا لدى الطالبات مقارنة بالطلبة الذكور، و هنا نلاحظ بروز الإشارة الواضحة لدلالة فكرة (P. Bourdieu) و (J. C. Passeron) عن المشاركة السياسية للطلبة، فيما يخص الفرق بين الجنسين حيث لاحظنا أن " نسبة 28.0% من الطالبات حياديات مقابل 20.0% من الطلبة الذكور، في حين أن نسبة 19.0% من الطالبات هنّ مناضلات في الأحزاب مقابل 29.0% من الذكور¹² .

رابعا : إن الأصل الاجتماعي يلعب دورا في صياغة و بناء الوعي السياسي لدى الطالب أو الطالبة ؛ مع الأخذ في الاعتبار الفارق بين الجنسين في ذلك.

¹¹ 1- محمد بن معجب الحامد - الشراكة و التنسيق في تربية المواطنة - مداخلة أمام لقاء قادة العمل التربوي المنعقد بالباحة - المملكة العربية السعودية. WWW.ALTALABA.COM

¹² 1- محمد القضاة - شخصية الجامعة الأردنية - المجلة الثقافية - عدد 63 نوفمبر 2004 - www. JU. edu.JO

¹³ 2- P. Bourdieu et J. C. Passeron - Les héritiers - op cit P 167 - (voir le tableau 2 - 36).

و لاكتمال صورة العلاقة بين الأصل الاجتماعي و الوعي السياسي لدى الطلبة فإنه من الضروري التطرق لعنصر الأصل الجغرافي و دراسة كيفية تدخله في صياغة الوعي السياسي و هذا كجزء من الأصل الاجتماعي و صورة له، فما هو الدور الذي يلعبه الأصل الجغرافي للطلاب في صياغة وعيه السياسي ؟ أو بمعنى آخر إذا كانت أشكال الوعي السياسي لدى الطلبة تختلف حسب اختلاف أصولهم الاجتماعية و المهنية ؛ فهل يكون لاختلاف الأصول الجغرافية دور في اختلاف أشكال الوعي السياسي لدى الطلبة و الطالبات في إطار اختلاف الأصول الاجتماعية ؟.

ج- الأصل الجغرافي و الاختبار الدراسي للطلاب :

إن سياسة تحقيق التوازن الجهوي في جميع المجالات و التي تحدثت عنها الكثير من الموثيق و المراسيم الوطنية منذ الاستقلال حتى اليوم ؛ لم تتحقق - حسب رأينا - كما نصت عليه هذه الموثيق، إنما العكس هو الذي نراه ماثلا اليوم للعيان، فزيادة على التفاوت الاجتماعي و الاقتصادي الواقع بين مختلف جهات الوطن، نجد أن التعليم و خاصة التعليم العالي منه يعبر بوضوح عن التفاوت في حظوظ الاستفادة منه من منطقة إلى أخرى " **ففي الوقت الذي قُدِّر فيه عدد الطلبة المسجلين للدخول الجامعي 1979 - 1980 بـ 29503 لمنطقة الوسط الجزائري فإن هذا العدد وصل إلى 16101 بمنطقة الشرق الجزائري و لم يتعدى 11841 بالمنطقة الغربية و ذلك في نفس السنة الجامعية** " ⁽¹⁾، كما أننا نلاحظ أن نسبة 91.4 % من الهياكل الجامعية تتركز بالمدن الكبرى و ذلك سنة 1980، و لم تتدنى هذه النسبة سنة 1987 سوى بـ 19.5 % أي خلال سبع سنوات، و يحاول المشروع الوطني حاليا تعميم المدن الجامعية على مستوى القطر الوطني كما ذكرنا في فصل سابق من هذا البحث ⁽²⁾.

¹⁴1-المصدر : ب. م أحمد، و. ب. بلمكي - الأصل الاجتماعي للطلبة - مذكرة ليسانس - مرجع سبق ذكره (أنظر الجدول رقم 1 في الملاحق).

¹⁵2- راجع الفصل الثاني من هذا البحث ص : 55 - 56.

إننا نؤكد هنا على أن عدم التساوي في الاستفادة من حظوظ التعليم نتيجة اختلاف الأصول الجغرافية، يؤثر في اختلاف السلوكيات و المعارف على المستوى الاجتماعي و الثقافي وهذا بصفة عامة، أما فيما يخص موضوع بحثنا هذا فإننا نتساءل عن مدى تدخل الأصل الجغرافي للطالب أو الطالبة في تحديد شكل الوعي السياسي، و ما هي علاقة الالتحاق بالجامعة و اختيار شعبة الدراسة بالأصل الجغرافي ؟ و كذا علاقة هذا الأخير بعامل الفرق بين الجنسين ؟.

إن محاولة إجراء مقارنة تحليلية بين الجدول (6 - III) الخاص بالأصول الجغرافية للطلبة و الطالبات حسب مكان الإقامة الحالي، و الجدول (7 - III) الذي يمثل الأصول الجغرافية للطلبة و الطالبات حسب مكانة ازدياد الأب ؛ إن هذه المقارنة تمدنا بالقراءات التالية : في الوقت الذي تجد فيه نسبة 45.93% من مجموع الطلبة و الطالبات للمعاهد الثلاثة يقيمون حاليا بمدن كبرى فإن هذه النسبة لا تتجاوز 13.34 % بالنسبة للآباء المولودين بمدن كبرى، و هو ما يعني فارق بين النسبتين يصل إلى 32.5%، أما بالنسبة للمدن المتوسطة فإننا نلاحظ أن نسبة 38.52% لمجموع الطلبة و الطالبات يقيمون بها حاليا، في حين لا تتجاوز نسبة الآباء المزدادين بهذه المناطق 18.52% و بذلك يصل الفارق بين النسبتين إلى 20.0%، و هنا نستطيع القول أن حوالي نسبة 52.5% من عائلات الطلبة و الطالبات قد نزحت نحو المدن الكبرى و المتوسطة آتية من مناطق جغرافية أخرى ؛ و هو ما يدخل في إطار الهجرة الكبرى نحو المدن التي عرفتها الجزائر منذ الاستقلال إلى اليوم، و ذلك نتيجة التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية التي شهدتها المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة و لكننا نلاحظ أن النسبة الكبيرة اتجهت نحو المدن الكبرى (32.50%).

دائما و في إطار المقارنة بين الجدولين المذكورين سابقا لاحظنا أن نسبة الطلبة و الطالبات المقيمين حاليا بمدن كبرى و الذين يدرسون بمعهد علم الاجتماع 37.78% هي أقل نسبة إذا نظرنا إلى معهد الحقوق 56.0% أو معهد الإعلام الآلي 42.5% و هي نفس الملاحظة نسجلها بالنسبة للجدول (7 - III) حيث نجد أن نسبة الآباء المولودين بمدن كبرى بالنسبة لطلبة معهد الاجتماع 8.89% أقل من نسبة آباء طلبة معهد الحقوق 16.0% أو معهد الإعلام الآلي 15.0% المزدادين بنفس المنطقة الجغرافية ؛ و هي نفس الملاحظات تتكرر إذا تحدثنا عن نسب الجدولين بالنسبة إلى الانتماء لمدن متوسطة، كما لاحظنا أن نسبة آباء طلبة و طالبات علم الاجتماع بمناطق أخرى غير المدن (كبرى، متوسطة، صغرى) تصل إلى

20.0% و تصل بمعهد الحقوق إلى 16.0% و لا تتجاوز 10.0% بالنسبة لآباء طلبة و طالبات معهد الإعلام الآلي.

إن ما نستطيع تأكيده هنا هو أن اختيار شعبة الدراسة يرتبط بشكل أو بآخر بعامل الأصل الجغرافي، و هذا ما يمكن تقديمه كقراءة سوسولوجية بعد تحليل عنصر العلاقة و الارتباط بين الأصل الجغرافي و الأصل الاجتماعي.

د- الأصل الجغرافي و الأصل الاجتماعي :

إن ساكنة المدن في الجزائر تشكل حسب الإحصائيات التي أجريت سنة 1987 م نسبة 50% من مجموع السكان و هي تجمع النسب العالية لمختلف الفئات الاجتماعية و المهنية و خاصة فئة البورجوازية الإدارية و التجارية، و فئة العمال الأجراء ؛ و لكن بالنسبة لحظوظ الالتحاق بالتعليم الجامعي نقرأ الملاحظة التالية (P.Bourdieu) و (J.C Passeron) في كتابهما الموسوم « Les héritiers » " **إننا نلاحظ عند قراءتنا لحظوظ الالتحاق بالتعليم العالي، أنها تظهر - أي الحظوظ - كنتيجة لتصفية و انتقاء متواصلين عبر المسار التعليمي، يعملان بكل صرامة غير عادلة - و انطلاقا من الأصل الاجتماعي - على إلغاء و تهميش الفئات الاجتماعية المحرومة** " (1).

أما بالنسبة للفرق بين الجنسين فإننا نلاحظ أن نسبة الطالبات من مدن كبرى 66.76% بالنسبة لمكان الإقامة الحالي أعلى منها لدى الذكور بالنسبة دائما للمدن الكبرى 29.34%، و نلاحظ بالمقابل أن النسبة المنعدمة (0%) لدى الطالبات إذا تعلق الأمر بالإقامة في مناطق جغرافية أخرى غير المدن، و لكن هذه النسبة تصل إلى 17.33% لدى الذكور.

و من هنا يمكن تقديم القراءات السوسيولوجية التالية لمضمون التحليلات السابقة.

¹⁶¹- P. Bourdieu et J. C Passeron – op cit – P 12.

أولاً : إن الطالب له الحظ أكثر من الطالبة للالتحاق بالجامعة مهما كان الأصل الجغرافي الذي ينتمي إليه ؛ كما أن الطالبة تتناقص حظوظها في التعليم الجامعي كلما كانت تنتمي إلى مناطق جغرافية غير المدن، و لكن يجب أن نقول بأن حظوظ الفتاة في التعليم عموماً هي أقل من حظوظ الفتى في المناطق الجغرافية الأخرى غير المدن و بالخصوص في الأرياف.

ثانياً : إن اختيار شعبة دراسية مفضلة يرتبط بشكل أو بآخر بعامل الأصل الجغرافي، و تتفاوت في ذلك حظوظ الطلبة ما بين القادمين من المدين و الآخرين القادمين من مناطق أخرى، مع الأخذ في ذلك بعين الاعتبار عنصر الأصل الاجتماعي و علاقته بهذا الاختيار.

ثالثاً : إن الأصل الجغرافي يرتبط أكثر بالأصل الاجتماعي و يلعب دوراً مساعداً في صياغة و بناء الوعي السياسي لدى الطالب أو الطالبة، و لكن نتساءل عن قيمته و دوره مقارنة بالمحيط الجامعي و شعبة الدراسة في صياغة و تكييف هذا الوعي ؛ و هو ما سنحاول تحليله في ما بقي من عناصر هذا الفصل.

III-2. المحيط الجامعي الدراسي للطالب :

إن الوعي السياسي لدى الطالب أو الطالبة حينما يرتبط بشعبة الدراسة، لا ينطلق من فراغ، فالمعرفة السياسية " تتضمن الوعي الواضح للمصاعب التي ينبغي قهرها و مسأَّ حادًا بالسلوك الواجب اتخاذه في هذا الظرف الاجتماعي أو ذلك... و المعرفة السياسية تشكل اقترانا بين عدة أنواع من المعارف : معرفة الآخر و النحن، معرفة الحس السليم، المعرفة التقنية، و أخيرا المعرفة المباشرة للمعالم الاقتصادية و النفسانية الخاصة بالواقع الاجتماعي..."⁽¹⁾، و بذلك لا يكون ذلك الارتباط ميكانيكيا يتجاوز تصورات الطلبة حول أنفسهم و حول واقعهم و محيطهم الاجتماعي و الجامعي من خلال شعبيهم الدراسية المختلفة ؛ بل إن الطلبة يملكون وعيا حول شعبيهم الدراسية عبر طموحاتهم المهنية المستقبلية، و التي ترتبط بدورها بالاختيار الدراسي، و محتوى الشعبة، و قيمة الشهادة التي تمنحها هذه الشعبة ضمن السلم الاجتماعي و المهني، حيث تتجلى المعرفة السياسية "... لا كمجرد جمع لأنواع المعارف الأخرى، بل هو انصهارها الذي لا يقبل الانفكاك في نوع معرفي قائم بذاته لا يقبل الخفض، و خاص تماما"⁽¹⁾.

إذن فالوعي السياسي الطلابي في ارتباطه بالمحيط الجامعي الدراسي يتحرك ضمن إطار العناصر الأربعة: الاختيار الدراسي، محتوى الشعبة و قيمتها، الطموح لمهنة المستقبل، و المحيط الجامعي العام الذي

¹⁷ 1- جورج غور فيتش - الأطر الاجتماعية للمعرفة - مرجع سبق ذكره - ص 40.

¹⁸ 1- ج. غور فيتش - مرجع سبق ذكره - ص 41.

نعني به " مؤثرات الوسط الجامعي و تقاليده و أنشطته المختلفة و محفزاته و كل العوامل المصاحبة المرتبطة بالحياة الجامعية"⁽²⁾.

أ- الاختبار الدراسي و بناء الوعي :

إننا نقرأ في الجدول (8 - III) أن نسبة 14.08 % من مجموع طلبة و طالبات المعاهد الثلاثة (علم الاجتماع - الحقوق - الإعلام الآلي) قد التحقوا بشعبهم الدراسية الحالية بطريقة عشوائية - حسب تعبيراتهم - و يعني ذلك إما فشل الطالب أو الطالبة في اجتياز امتحان المدخول للشعبة المختارة أصلاً، أو بتوجيه من إدارة الجامعة أو لظروف الأخرى، و لكن أليس من المشروعية أن نتساءل عن المضمون الاجتماعي الذي يختفي وراء كلمة " عشوائية " هذه؟ حيث أننا نلاحظ في نفس الجدول أن النسب تختلف من معهد لآخر بشكل يعطي صورة أكثر تعبيراً من نسبة مجموع المعاهد الثلاثة.

فطلبة و طالبات معهد علم الاجتماع الذين التحقوا بشعبتهم الدراسية الحالية نتيجة للظروف المذكورة سابقاً تشكل نسبتهم 33.33% في حين لا تتجاوز هذه النسبة 6.0% بمعهد الحقوق و 2.50% بمعهد الإعلام الآلي؛ و إن ما يفسر صدق هذه المعطيات في حد ذاتها،

¹⁹2- محمد باشوش- مرجع سبق ذكره - ص 109.

هو معطيات الجدول (9 - III)، و المتعلقة باختيارات الطلبة و الطالبات للشعب المختلفة عند تسجيلهم لدخول الجامعة.

فقد لاحظنا أن طلبة و طالبات معهد علم الاجتماع كانوا قد اختاروا عموما شعب العلوم الاقتصادية و التجارية 11.30% أو العلوم الإنسانية (ما عدا علم الاجتماع) 15.65% لكن النسبة الكبيرة منهم كانت تفضل التوجه إلى اللغات الحية أو الترجمة 23.48% ؛ و رغم أننا نلاحظ فيما يخص طلبة و طالبات معهد الحقوق أن نسبة معتبرة منهم قد اختارت العلوم الإنسانية 16.07% أو اللغات 14.29%، إلا أن الاختلاف الذي يظهر بين المعهدين هو أن طلبة الحقوق عندما يحددون الشعب المختارة من قبلهم عند التسجيل لدخول الجامعة فإنهم غالبا ما يذكرون شعبتهم الحالية (الحقوق) ضمن الاختيارات، و هو عكس طلبة علم الاجتماع، حيث صرّح أحدهم في آخر الاستمارة " ... تمنيت لو سألتموني عن فساد المنظومة التربوية من أساسها، و التفرقة الطبقية في التوجيه المدرسي و الجامعي " كما يتمنى طالب آخر من نفس المعهد لو أننا طرحنا عليه السؤال التالي : " ... هل اخترت هذا المعهد أم أجبرت على الدخول إليه؟! ".

إننا نلاحظ في نفس الجدول (9 - III) أن طلبة و طالبات معهد الإعلام الآلي قد تركزت اختياراتهم حول شعب علمية مثل الطب 13.24% أو العلوم الدقيقة 13.24% أو التكنولوجيا 8.82%، و لكن هذا الاختيار يبقى دائما كما نلاحظ في إطار الشعب الأقرب إلى شعبة الدراسة الحالية (الإعلام الآلي)، و هذا عكس طلبة و طالبات معهد علم الاجتماع الذين تشكل نسبة اختيارهم لشعب علمية و تكنولوجية 15.56% في حين لا تتجاوز نسبة طلبة و طالبات معهد الإعلام الآلي الذين اختاروا شعبا أدبية و إنسانية 2.50%.

إن متوسطات أعمار الطلبة بالنسبة لكل معهد، تفصح أكثر عن معنى الاختيار؛ حيث أن نسبة 80.0% من طلبة و طالبات معهد علم الاجتماع تتراوح أعمارهم ما بين (22 و 25 سنة) منهم 26.67% في سن 25 فعلا، في حين نجد أعمار طلبة و طالبات معهد الحقوق تنحصر ما بين (21 و 24 سنة) بنسبة 84.0% و نفس الشيء بالنسبة لطلبة و طالبات الإعلام الآلي 77.5% ؛ و عليه فإن ارتفاع سن طلبة و طالبات معهد الاجتماع مقارنة بالمعهدين الآخرين، يعني أن هؤلاء - طلبة و طالبات معهد علم الاجتماع -، لم يلتحقوا في البداية بمعهدهم الحالي، أي أنهم درسوا بشعب أخرى ثم تحولوا إلى علم الاجتماع نتيجة الإخفاق في الانتقال، أو لظروف اجتماعية و دراسية أخرى، و هذا ما سجلناه في تصريحاتهم؛ حيث أن نسبة معتبرة منهم درسوا على الأقل سنة أو سنتين في معاهد أخرى قبل الالتحاق بمعهد علم الاجتماع.

إن دور الاختيار الدراسي للطلاب أو الطالبة في بناء الوعي و صياغته يمكن تبلوره من خلال ما يستبطنه الطلبة من وعي حول اختياراتهم الدراسية و مآلات و آثار هذه الاختيارات على حياتهم الجامعية و ما بعد التخرج، و ذلك مجسدة في العناصر التالية :

أولاً : إن اختيار شعبة الدراسة ليس بريئاً، بل إنه يتحدد من خلال ظروف قد تكون اجتماعية مهنية، أو جامعية دراسية، و لكن في جميع الأحوال فإن شعبة الدراسة بالنسبة للطالب أو الطالبة هي قبل كل شيء شهادة جامعية و بالتالي مهنية للمستقبل ؛ فإذا كانت الجامعة تمثل بالنسبة للطلبة و الطالبات امتياز اجتماعي و معرفي فإن تصوراتهم – في كثير من الأحيان – تتجاوز ذلك إلى التفكير في مهنة راقية تضمن حياة أكثر راحة و رفاهية.

لقد ورد في أحد البحوث الجامعية أن نسبة 70% من الطلبة المستجوبين صرحوا بأنهم التحقوا بالجامعة للحصول مستقبلاً على منصب عال⁽¹⁾، فالجامعة كما يقول (G. Gusdorf) " ... ليست موصل ثقافة و حقل بحث فقط، إنها كذلك فرصة لترقية اجتماعية و امتياز، و موصلة للمناصب..."⁽¹⁾.

²⁰1- هامل محجوبة - و - بلحميداش عبد الله - الخطاب الطلابي-مرجع سبق ذكره - ص 59.

²¹1- 19 - G. Gusdorf - L'université en question - Éd : payot - paris - 1964 - p :

ثانيا : إن وعي الطلبة بالفروقات الاجتماعية المرتبطة باختياراتهم الدراسية له صدى في تطلعاتهم المهنية المستقبلية التي ترتبط بدورها - أي التطلعات و الطموحات المهنية - بعاملين رئيسيين :- الوضع المهني و الاجتماعي من خلال شعبة الدراسة،- و الواقع الاجتماعي والسياسي العام لتوظيف المتخرجين من الجامعة ؛ فقد سجلنا أن معظم طلبة و طالبات المعاهد الثلاثة اختاروا مهنة المستقبل في مجال التعليم بنسبة 21.34 % جدول (10 - III) رغم عدم الارتباط المباشر بين شعبهم الدراسية و التعليم، وهذا ما يدل على اشتراكهم جميعا في غموض المستقبل المهني، حيث تصرح طالبة من الإعلام الآلي " لا أستطيع ممارسة المهنة التي أتمناها، نظرا لعدم وجود نظام التوزيع المهني مع كثرة المهندسين العاطلين عن العمل...".

إن طلبة علم الاجتماع هم الأكثر اختيارا لمهن لا ترتبط بمحتوى و نوع تكوينهم الجامعي، حيث أن اختياراتهم حول التعليم بلغت نسبة 35.29% و التجارة 13.72% و هذا مقارنة بالحقوق 12.31% للتعليم و 4.62% للتجارة، أو الإعلام الآلي 18.75% للتعليم و 8.34% للتجارة ؛ فمعظم طلبة و طالبات معهد علم الاجتماع يصرحون بأن غموض مستقبلهم المهني يرجع بالأساس إلى عدم وجود سلم مهني للأجور خاص بالشهادة في علم الاجتماع كما يصرح أحدهم بقوله : " إن سلم علم الاجتماع غير واضح في الحياة المهنية " و يقول آخر " إنني لا أستطيع ممارسة المهنة التي أربغ فيها لأن علم الاجتماع ليس له أهمية في هذا البلد... " و تصرح طالبة من نفس المعهد : "...إن

علم الاجتماع رغم أنه يساعدنا في كثير من الجوانب الفكرية و العلمية، إلا أنه لا يساعدنا فيما يخص ممارسة مهنة المستقبل...".

إن نسبة توجه الطالبات نحو اختيار التعليم كمهنة للمستقبل 29.34 % أكبر منها لدى الطلبة الذكور 14.61 %، وهو ما يمثل صورة جزئية لواقع المرأة عموماً في المجتمع، والتي لا تمتلك الحرية المطلقة في اختيار المهنة التي ترغب فيها مقارنة بالرجل، فكثيراً من الوظائف في المجتمع الجزائري مازالت حكراً على الرجل دون المرأة، حيث نلاحظ أن نسبة 2.66 % تمثل اختيارات الطالبات لمجال الصناعة في حين تبلغ هذه النسبة عند الطلبة الذكور 11.23 % **"... ففي كل مجتمع مجموعة من القواعد والتعاليم التي تحدد مكانة المرأة ودورها ومركزها، وأدوار الرجل وما له من حقوق وما عليه من التزامات..."**⁽¹⁾، وقد لاحظ (P. Bourdieu) و (J. C Passeron) أن **"البنات أكثر توجهها نحو التعليم من البنين... وهو ما يعبر عن اهتمام حيوي بعدم إنكار المهام التقليدية للمرأة"**⁽²⁾.

²²1- محمد العربي ولد خليفة - المهام الحضارية للمدرسة و الجامعة الجزائرية - د.م.ج - الجزائر 1989 - ص 142.

²³2- P. Bourdieu - et - J. C Passeron - op cit - P 92.

إن الاختيار الدراسي المرتبط بالطموح المهني نحو المستقبل يؤدي إلى بلورة وعي طلابي يدرك أبعاد ذلك الاختيار ورهاناته و مدى خدمته لطموحات شخصية فردية أو جماعية تعي إمكاناتها، و العوائق الاجتماعية و السياسية التي تواجهها، و هذا ضمن حدود ما تسمح به القيمة الاجتماعية و المهنية لتلك الاختيارات كما تلعب الفروقات الجنسية دورا قد يكون علامة فارقة في إدراك كل من الطالب و الطالبة حدود النظام الاجتماعي و أبعاده سواء كمحفز لتلك الطموحات أو مثبّطا لها ؛ فالمجال الدراسي هو جزء حيوي لبناء الوعي الطلابي اجتماعيا و سياسيًا.

ب- شعبة الدراسة و الوعي السياسي:

إذا كانت الاختيارات الدراسية للطلبة و تطلعاتهم المهنية المستقبلية ترتبط بالعامل الاجتماعي (الأصل الاجتماعي) فإن قيمة الشعبة تلعب هي الأخرى دورا بارزا في ذلك ؛ حيث أن الارتباط بين الشعبة و التطلع و الطموح المهني يعمل بشكل جدلي ؛ فإذا كانت الشعبة تحدد شكل و مجال الاختيار المهني، فإن هذا الأخير يشكل العامل الأساسي لبناء تصورات الطلبة و الطالبات حول وضعياتهم الدراسية، و محتوى البرنامج الدراسي الجامعي و مدى فعاليته في تكوين الطلبة و تأهيلهم لممارسة مهنة المستقبل بشكل مقبول.

إذن فالعلاقة بين التطلعات المهنية المستقبلية و شعبة الدراسة بمحتوى برامجها البيداغوجية و التكوينية هي علاقة جدلية ؛ لكن ألا يمكننا أن نتساءل عن الكيفية التي تتدخل بها هذه العناصر في بناء و تحديد شكل الوعي السياسي لدى الطلبة و الطالبات بالنسبة للمعاهد الثلاثة (علم الاجتماع، الحقوق، الإعلام الآلي) و ذلك حسب اختلاف الشعب و تأثير ذلك على كل من الطلبة و الطالبات.

إن الجامعة ليست فقط مجالاً لإنتاج المعارف العلمية و الموضوعية، بل هي من جهة أخرى، مجالاً حيويًا لإنتاج الأفكار و التصورات، و الرموز، و الاتجاهات الإيديولوجية و الثقافية، حيث أن المهام التكوينية و التربوية لها، لا تنفي أبعادها الإيديولوجية " فالمحايدة لا توجد في الجامعة، كما في الثقافة ؛ إن أشكال و محتويات التعليم التي نتلقاها سواء أردنا أم لا، ما هي إلا انعكاس و نتاج لمجتمع معين، و لنظام سياسي، و لبنية اقتصادية معينة..."، فشعبة الدراسة من حيث محتواها و برامجها و طرقها، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر تتدخل في صياغة بنية التصورات الثقافية و الاجتماعية و السياسية لدى طلابها و طالباتها.

إن مثالية التصريح الموالي الذي أدلى به أحد طلبة معهد الإعلام الآلي يحمل التعبير الأبلغ عما نريد الإفصاح عنه حيث يقول : **" بشهادة في الإعلام الآلي، أستطيع تكوين ورشة صناعية و تسييرها، و هذا يساعدي على فرض نمط التفكير السياسي..."** ؛ إن تقييمنا لمضمون هذا التصريح لا ينطلق من مدى صلابته أمام الواقع الاجتماعي، أو من قيمة الوزن الاجتماعي الذي تمثله شعبة الدراسة التي يدرس بها هذا الطالب، و لكن هذا التصريح يأخذ قيمته القصوى من حيث أننا نستطيع أن نقرأ من خلاله تصور شامل لوعي مكتمل حول نفسه و حول مجتمعه، و البنية الرمزية للسلطة الاجتماعية و السياسية للجامعة داخل المجتمع من خلال شعبة الدراسة ؛ فإذا أعدنا قراءة هذا التصريح بصيغة أكثر عمقا و صراحة، نصل إلى ما يلي : إن سلطة الفرد داخل المجتمع تقوم على أساس اقتصادي، فالذي يملك ورشة صناعية مثلا يستطيع أن يفرض نمط تفكيره السياسي، و لا تتحقق كل هذه الأشياء إلا بالدخول إلى الجامعة و اختيار شعبة تقنية كشعبة الإعلام الآلي.

طالب آخر من معهد الحقوق، في تصريح مطول يحكي (قصة) انتقاله من معهد علوم الشريعة (بقسنطينة) إلى معهد الحقوق (بوهران) حيث يذكر أسباب هذا الانتقال فيقول : **" إنني الرجل الوحيد في عائلتي، و قد اعتدى رجل غني علينا، حيث قام بشراء البيت الذي نسكن فيه بتحايل قانوني على مصالح الدولة... لذلك تحولت إلى معهد الحقوق لدراسة القانون و إنقاذ عائلتي..."** ؛ إنه النموذج الآخر لتأثير الشعبة في تشكيل تصورات اجتماعية و سياسية محددة، حيث تظهر الدراسة كعنصر حيوي لإثبات الوجود و الدفاع عن مصلحة اجتماعية مهددة.

إننا نقرأ في الجدول (10 - III) أن نسبة 15.69% من طلبة و طالبات معهد علم الاجتماع، اختاروا السياسة كمجال لممارسة مهنة المستقبل، و تبلغ هذه النسبة في معهد الحقوق 18.46%، كما نجد في معهد الإعلام الآلي أن نسبة 18.75% من طلبة و طالبات هذا المعهد كانت أختياراتهم المهنية ضمن مجال الصناعة.

إن المجال المهني السياسي يعتبر أقرب إلى شعبي علم الاجتماع و الحقوق منه إلى شعبة الإعلام الآلي، و العكس صحيح بالنسبة لمجال الصناعة؛ إن هذه النسب رغم أنها قليلة مقارنة بنسب أخرى في نفس الجدول (10 - III) كالاختيارات حول التعليم أو الإدارة؛ إلا أنها تعبر حسب رأينا عن تصورات الطلبة حول إمكانية تحقيق سلطة اجتماعية من خلال الاختيار المهني المرتبط بشعبة الدراسة.

إن تأثير شعبة الدراسة في تشكيل الوعي السياسي يظهر أيضا من خلال اقتراحات الطلبة و الطالبات حول مدى تأييدهم أو رفضهم لإضافة مواد دينية و سياسية لبرنامجهم الدراسي الجامعي ؛ فإذا قمنا بمقارنة بين الجدولين (III - 11) و الجدول (III - 12) نستنتج ما يلي : إن مجموع طلبة و طالبات المعاهد الثلاثة (علم الاجتماع، الحقوق، الإعلام الآلي) يؤيدون إضافة مواد دينية إلى برنامجهم الدراسي بنسبة 61.48% أكثر من تأييدهم لإضافة مواد سياسية 44.44%، و لكن نسب التأييد هذه تختلف من معهد إلى آخر، حيث نسجل أن طلبة و طالبات معهد علم الاجتماع يؤيدون إضافة مواد سياسية إلى برنامجهم الدراسي بنسبة 66.67 %، أكثر بقليل من تأييدهم لإضافة مواد دينية 60.0 % و هذا عكس طلبة و طالبات معهد الحقوق الذين يؤيدون إضافة مواد دينية لبرنامجهم الدراسي بنسبة أعلى 70.0 % من نسبة تأييدهم لإضافة مواد سياسية 34.0 % و نفس الأمر بالنسبة لطلبة و طالبات معهد الإعلام الآلي بالنسبة لإضافة مواد دينية 50.0 % مقابل نسبة 32.50 % تأييدا لإضافة مواد سياسية لبرنامجهم الدراسي.

المعاهد	1	2	3	4
	معهد علم الاجتماع	معهد الحقوق	معهد الإعلام الآلي	مجموع المعاهد الثلاثة

المجموع		إناث		ذكور		المجموع		إناث	ذكور	المجموع		إناث	ذكور	المجموع		إناث	ذكور	الردود
%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد			%	الع دد			%	الع دد			
61.4 8	83	68.3 3	41	56.0	42	50.0	20	11	9	72.0	36	16	20	60.0	27	14	13	تأييد
27.4 1	37	26.6 7	16	28.0	21	25.0	10	4	6	20.0	10	7	3	37.7 8	17	5	12	رفض
11.1 1	15	5.0	3	16.0	12	25.0	10	0	10	8.0	4	2	2	2.22	1	1	0	بدون تصريح
100	135	100	60	100	75	100	40	15	25	100	50	25	25	100	45	20	25	المجموع

جدول (11 - III) . - مواقف الطلبة من إضافة مواد دينية إلى برامجهم الدراسية -

إن مواقف الطلبة و الطالبات و رؤيتهم لكل من الدين و السياسة تختلف من معهد إلى آخر ؛ حيث أن طلبة و طالبات معهد علم الاجتماع يقبلون بإضافة مواد دينية لبرنامجهم الدراسي على أساس رؤية سوسيولوجية للدين كموضوع خصب و حيوي لمادة علم الاجتماع، و ينظرون بنفس المنظور للسياسة، في حين ينظر طلبة و طالبات معهد الحقوق إلى الدين كجزء من الشخصية الوطنية و مصدر أساسي للتشريع، و ينظرون إلى السياسية على أنها " **عبارة عن إيديولوجيات مختلفة، و لا تفيد في ميدان الحقوق...**" كما صرح بذلك طالب من هذا المعهد ؛ و يؤيد طلبة و طالبات معهد الإعلام الآلي إضافة مواد دينية إلى برنامجهم الدراسي على أساس " **إننا في حاجة لمعرفة ديننا أكثر، حيث معظم الطلبة و الطالبات يجهلون الشيء الكثير عنه...**" كما صرح بذلك أحدهم، أما السياسية بالنسبة لهم فهي " **شيء صعب و معقد، و على الدارس أن يتفادها حتى لا يقع في هونها**"، كما صرح طالب آخر من نفس المعهد.

المعاهد	1	2	3	4
معهد علم الاجتماع	معهد الحقوق	معهد الإعلام الآلي	مجموع المعاهد الثلاثة	

المجموع		إناث		ذكور		المجموع		إناث	ذكور	المجموع		إناث	ذكور	المجموع		إناث	ذكور	الردود
%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد			%	الع دد			%	الع دد			
44.4 4	60	51.6 7	31	38.6 6	29	32.5 0	13	8	5	34.0	17	8	9	66.6 7	30	15	15	تأييد
44.4 4	60	43.3 3	26	45.3 4	34	42.5 0	17	7	10	58.0	29	15	14	31.1 1	14	4	10	رفض
11.1 2	15	5.0	3	16.0	12	25.0	10	0	10	8.0	4	2	2	2.22	1	1	0	بدون تصريح
100	135	100	60	100	75	100	40	15	25	100	50	25	25	100	45	20	25	المجموع

جدول (12 - III). - مواقف الطلبة من إضافة مواد سياسية إلى برامجهم الدراسية -

إن تأثير شعبة الدراسة في بلورة و تحديد الوعي السياسي أو شكل من أشكاله لدى الطلبة و الطالبات يبدو واضحا لدرجة الاختلاف في المواقف و التصورات من معهد إلى آخر من المعاهد الثلاثة محل الدراسة ؛ حيث يمكن أن نقرأ بوضوح التماثل في هذه المواقف وفق تصورات تبدو فيها الأبعاد الإيديولوجية و المعرفية فاصلا بارزا حسب ما يستتبعه كل انتماء دراسي علمي تؤديه شعبة الدراسة بمحتواها و مضمونها العلمي و المعرفي، و ما تصنعه من طموح و حس مشترك طلابي يعتز أحيانا و ينفر أحيانا أخرى بالانتماء لهذه الشعبة أو ذلك المعهد.

و لكننا نفترض أن هذا التأثير لشعبة الدراسة في صياغة و تشكيل الوعي السياسي لدى الطلبة و الطالبات ليس منفصلا عن الظروف الجامعية العامة ؛ حيث أن الوعي يبرز أكثر عندما نحاول قراءة مواقف الطلبة و الطالبات و تصوراتهم تجاه ظروف الحياة الجامعية، و ما يجري فيها من نشاطات، و ما تفرزه من أفكار و مواقف تؤثر بشكل مباشر في بلورة و توضيح شكل الوعي السياسي لدى الطلبة و الطالبات، حسب تفاعلاتهم أو انفعالاتهم بظروف هذه الحياة ضمن الحركية الاجتماعية الجامعية.

ج- وعي الطالب حول ظروفه الجامعية :

تتميز الجامعة عن باقي المؤسسات التربوية الأخرى كالأسرة أو المدرسة مثلا، في أنها تشكل مجالا ثقافيا و اجتماعيا مفتوحا يسمح لأعضائه - الطلبة - بالتعبير عن قيمهم و أفكارهم بشكل حر و مكتمل ؛ ففي الجامعة نجد الحوار و المشاركة في التعبير عن جميع الآراء و التصورات في شكلها الفردي و الجماعي ؛ و إن الإطار الإيديولوجي الأكثر بروزا داخل الجامعة هو بكل تأكيد إيديولوجية الطالب الجامعي الذي " و بمعزل عن الالتزامات التي يفرضها استعمال الزمن الدراسي، لا يوجد تاريخ و لا مواقف تقيده حيث بإمكانه - أي الطالب الجامعي - أن يتجاوز الأطر الزمنية للحياة الاجتماعية المعمول بها، و هي ما يسمى بالوقت غير الثابت للحياة الجامعية " (1).

إن هذه الحرية التي يتمتع بها الطالب الجامعي يتوقف استثمارها (الإيجابي) على مدى توفر ظروف اجتماعية جامعية تساعده على ذلك، و هذا إحالة على المفهوم السوسيولوجي الذي يربط بين الوعي و الوجود الاجتماعي " ليس وعي الأفراد هو الذي يحدد وجودهم الاجتماعي، بل وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم " (2) ؛ نقول هذا و نحن نسجل أن كل الطلبة و الطالبات الذين أجرينا معهم بحثنا هذا (سواء عن طريق الاستمارة أو بالمقابلة المفتوحة) يجمعون على أن الظروف الجامعية التي يعايشونها، ظروف مزرية و صعبة، لا تساعد على النشاط أو العمل سواء أكان ثقافيا أو علميا أو بيداغوجيا.

²⁴ - P. Bourdieu et J. C Passeron – op cit P 48.

²⁵ - كارل ماركس - عن - علي سالم - الوعي بين الفرد و الجماعة (الوعي و الممارسة) - مرجع سبق ذكره - ص 73.



يُصرِّح أحد طلبة معهد علم الاجتماع بقوله : " إن المنظومة الجامعية بكاملها تحتاج إلى إعادة نظر و صياغة جذرية "، و هو رأي يمكن قراءته بصيغة مغايرة و لكن بمضمون واحد في كتابات بعض المثقفين و الصحافيين حينما يتحدثون عن الجامعة : "لقد أصبح الحرم الجامعي سيف ذو حدين : لذلك هناك مسائل جوهرية يجب تغييرها، و هذا يتطلب وقتا، لأن إصلاح الجامعة هو تتويج للإصلاحات في ميادين أخرى"⁽¹⁾، أو يمكننا إدراج موقف آخر لأحد رجال الإعلام قوله " لقد أصبح الخطر يكمن في كون الجامعة صارت عاجزة عن تطوير نظرة خاصة بها و متميزة حول الوضع القائم و كيفية تجاوز الأزمة الحالية في كل المجالات "⁽²⁾.

و يحدد الطلبة و الطالبات جملة من المشاكل اليومية التي تعيشها جامعتهم كقلة الكتب، و المراجع، و غياب نظافة القاعات الدراسية، و سوء التسيير الإداري للمعاهد، و الإضرابات و التوقفات عن الدراسة سواء من طرف الأساتذة أو العمال أو حتى الطلبة ؛ و هذا رغم اختلاف تحديد قيمة و جوهر كل مشكل حسب كل معهد أو حسب الجنس بين المذكور و الإناث، حيث الطلبة المذكور يركزون على الظروف الاجتماعية كالنقل و الإطعام و ظروف الدراسة بالمعهد في حين تركز الطالبات على المشاكل البيداغوجية كالكتب و المراجع و محتوى البرامج و غيرها.

²⁶1- جيلالي اليابس - الحرم الجامعي سيف ذو حدين - جريدة « السلام » - عدد 3 مارس 1992 - ص 5.

²⁷2- محمود بن محمد - الجامعة ابتلعته السلطة - جريدة « الحرية » - عدد 71 - من 13 إلى 19 ماي 1996 - ص 4.

إن القراءة السوسولوجية لتأثير هذه الظروف على صياغة و بناء التصورات الطلابية نجدها تنعكس في النشاطات و الأعمال الثقافية التي يمارسها الطلبة ضمن إطار الحرم الجامعي ؛ حيث نسجل هنا أن معظم هذه التحركات و النشاطات هي ذات طابع موسمي مناسباتي، كما أن شكلها و مضمونها يكاد يكون متكررا بشكل دائم، فالمعارض التي ينظمها الطلبة (و هي أكثر إن لم نقل كل النشاط الذي يقومون به)، تأخذ دائما مضمونا واحدا، و هو إما ذو طابع ديني تاريخي مرتبط بالمناسبات و الأعياد الدينية و الوطنية كيوم العلم مثلا، أو عيد الطالب، و كذا ما ينجز من نشاطات دينية خلال شهر رمضان، أو ذو طابع فلكلوري احتفالي مثل الحفلات الموسيقية و الدورات الرياضية حسب المناسبات، و يرتبط كل ذلك بالاتجاهات و التيارات الطلابية لكل المنظمات التي تنشط على المستوى الجامعي و انتماءات الطلبة المختلفة لها*.

²⁸* 1. الإتحاد العام الطلابي الحر. 2. الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين. 3. جمعية الثقافة البربرية. هذه المنظمات الطلابية هي الأكثر نشاطا على مستوى الجامعة و هي الأكثر تنظيما لتلك المعارض و ذلك حسب المناسبات بالنسبة لكل منظمة.

يتخذ الوعي الطلابي حول ظروف الحياة الجامعية شكل من الرفض و المقاومة، من فكرة تنظر إلى المجال الجامعي المحيط بالطلاب كمجموعة من العوائق المتداخلة اجتماعية، بيداغوجية، سياسية تدفع إلى الانتظام داخل بوتقة من ردود الأفعال الهامشية تشكل قطيعة بين البعد النظري المأمول من الجامعة و حقيقة الواقع الاجتماعي الجامعي ليوميات الطالبة أو الطالب ؛ و لكن ذلك حسب رأينا ما نعتبره درجة من الوعي تمهد للدخول في ترجمة هذه التصورات إلى ممارسات ترفض ذلك الواقع حسب تعبير (أرنست ماندل) " تبدأ الحركة الطلابية في كل مكان بالتمرد ضد الشروط المباشرة التي يعيشها الطلبة في مؤسساتهم الأكاديمية، في الكليات و في المدارس الثانوية " (1).

د- الظروف الجامعية و بناء الوعي :

إن تلك الظروف الجامعية هي التي تجمع الطلبة و تؤثر على عملهم النقابي في إطار المنظمات و الجمعيات الطلابية المتواجدة على ساحة الجامعة ؛ حيث أننا نقرأ من خلال الجدول (13 - III) نسبة 81.48% من مجموع طلبة و طالبات المعاهد الثلاث (علم الاجتماع، الحقوق، الإعلام الآلي)، غير منخرطين في أي منظمة طلابية، و يرجع معظمه الأسباب إلى نسبة في أن هذه المنظمات ما هي إلا " مضيعة للوقت، حيث لم تنجز شيئاً يذكر لصالح الطلبة، و بذلك فهي غير ذات جدوى " أو أنها " تسبب المشاكل و التفرقة في صفوف الطلبة " كما أنها " كلها ترتبط بأحزاب سياسية معينة، و لا تخدم سوى مصالح هذه الأحزاب، و مصالح المشرفين عليها...".

²⁹ 1- أرنست ماندل - الحركة الطلابية الثورية - محاضرة بجامعة نيويورك في 21 سبتمبر 1968 -

هذه التصريحات الطلابية تبدو أكثر منطقية حينما نعلم أن معظم الطلبة المنخرطين في هذه المنظمات يصرحون عند سؤالهم عن سبب الانخراط، أنهم يريدون الدعوة لفكرة معينة و التمكين لاتجاه محدد داخل الجامعة عن طريق هذه الجمعيات و المنظمات، و لم يفكر أحد منهم في الأسباب التي وجدت من أجلها هذه المنظمات أصلا و هي - على الأقل من الناحية النظرية الرسمية - الدفاع عن مصالح الطلبة و حل مشاكلهم ضمن الإطار الدراسي و البيداغوجي داخل الجامعة.

4		3		2		1		المعاهد										
مجموع المعاهد الثلاثة		معهد الإعلام الآلي		معهد الحقوق		معهد علم الاجتماع		الردود										
المجموع		إناث		ذكور		المجموع		إناث		ذكور								
%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد							
8.15	11	5.0	3	10.6 7	8	2.50	1	1	0	8.0	4	1	3	13.3 4	6	1	5	منخرط
81.4 8	11 0	86.6 3	52	77.3 3	58	80.0	32	14	18	80.0	40	20	20	84.4 4	38	18	20	غير منخرط
10.3 7	14	8.33	5	12.0	9	17.5 0	7	0	7	12.0	6	4	2	2.22	1	1	0	بدون تصريح
100	13 5	100	60	100	75	100	40	15	25	100	50	25	25	100	45	20	25	المجموع

جدول (13 - III). - علاقة الطلبة بالمنظمات الطلابية (من حيث الانخراط أو عدمه) -

في تأثره بالظروف الجامعية السائدة يتخذ الوعي الطلابي في شكله السياسي نمطين متباينين ؛ الأول يضع قطيعة مبطنة مع مفهوم البعد السياسي للنشاط الجامعي و ينأى بالجامعة عن كل ما هو سياسي، حيث يرى فيها البعد الأكاديمي البحث في مثالية تستبطن الخوف من السياسة، و هذه الفكرة يؤكدتها أحد الأكاديميين العرب بقوله : " إذا وجد السياسي أن الجامعات مازالت تتمرس خلف أكاديميتها، لأنها لا ترغب أن تتحول الجامعات إلى ساحات للصراع السياسي و الإيديولوجي الذي لا بد أن يؤثر على الجانب الأكاديمي و هذا ما لا يقبل به الجميع... " (1)، و يحدد آخر هذا المضمون بضرورة الفصل بين ما هو نظام سياسي و ما هو سياسة بقوله : " لكي تصبح السياسة موضوع نقاش في الجامعة عليها أن تقطع الصلة بالسياسي و لا تكون خاضعة لحزب و لا للحزب " (2).

³⁰1- محمد القضاة - شخصية الجامعة الأردنية - مرجع سبق ذكره.

³¹2- جيلالي الياس - الحرم الجامعي سيف دو حدين - مرجع سبق ذكره - ص 5.

أما النمط الثاني فيتخذ شكل الإدماج و التداخل بين ما هو سياسي و ما هو أكاديمي و يتصور إمكانية استيعاب الحياة الجامعية للصراع الاجتماعي و السياسي و النقاش المفتوح على مستوى المجتمع و هو ما يراه أكاديمي عربي آخر " **إن مفهوم الجامعة ليس فقط (علم) بل إن كلمة جامعة تعني العموم و الشمول و الجمع بين أمور عديدة... فإذا لم يمارس الطلبة السياسة أثناء الجامعة فمتى يمارسونها؟! (3)** ؛ و تستند هذه النظرة إلى أن الجامعة مؤسسة اجتماعية تستوعب مختلف الصراعات و النقاشات السائدة في المجتمع، كما يعبر أحد الجامعيين أن الأحزاب موجودة بالفعل في الجامعة، إن لم يكن بشكل رسمي فهو غير رسمي.

إن ارتباط الوعي السياسي لدى الطلبة و الطالبات بالعوامل التي ذكرناها خلال هذا الفصل من الدراسة و البحث كالأصل الاجتماعي، و الأصل الجغرافي، و شعبة الدراسة، و ظروف الحياة الجامعية، إلى جانب عامل الاختلاف بين الجنسين الذي لاحظنا أنه لا يقل فعالية عن تلك العناصر؛ نقول أن شكل الوعي السياسي الطلابي يتحدد وفق تأثير هذه العناصر، و يختلف حسب اختلافها، و لكن يبقى الإطار الأكثر تعبيراً و تجسيدا لشكل الوعي السياسي و دلالاته الاجتماعية و الثقافية يكمن حسب رأيي موقع اصحاب و الطالبة من الممارسة السياسية و تصورهما لها – أي الممارسة السياسية – كعمل اجتماعي تتحدد من خلاله كفايات الوعي للظروف و البنيات الاجتماعية التي يقوم عليها المجتمع ككل.

³² - عمرو مجدي - السياسة في الجامعة ... لعب عيال؟! . www.ALTALABA.com

من هنا تتساءل : ما هي المعاني و الدلالات التي تأخذها المواقف السياسية للطلبة و الطالبات من القضايا العامة للمجتمع كالديمقراطية و التعددية الحزبية، و التنمية الاقتصادية و غيرها؟ ما هي تصورات الطلبة و الطالبات لأشكال الممارسات السياسية و قيمتها، كالنضال الحزبي، أو الانتخابات و غيرها ؟ ما مفهوم الاختيار السياسي في مقابل الحياد السياسي في منظومة الطلبة و الطالبات ؟ هذه الأسئلة و غيرها سنحاول الإجابة عنها في الفصل الموالي و الأخير من هذا البحث.

1-IV. الطالب و الممارسة السياسية:

إن الإطار العام الذي يتفاعل فيه الوعي بصفته الشمولية و استمراري المتميزة في تاريخية الفرد و الجماعة، هو بصفة عامة الحاجات الاجتماعية و ما يرتبط بها من أفكار و معارف ؛ و لأن الجماعات محكومة بمصالحها فإن تطلعاتها و رؤاها الفكرية و مواقفها و اتجاهاتها و أهدافها و قيمها و مثلها تعبر عن ذلك " **... فالوعي هو مفهوم يتعايش معه الفرد على حسب تعبير (برغسون)** " (1) ؛¹ و من هنا فإن مفهوم الوعي السياسي يشمل في حد ذاته الآراء و النظريات و التطلعات و المواقف، و الأفكار السياسية و الاجتماعية التي تعكس المصالح المادية للأفراد و الجماعات، و من الواجب أن نشير هنا إلى أن معظم النقاشات التي كانت تدور بين الفلاسفة و المفكرين و علماء الاجتماع حول الوعي كمفهوم و كمنظرة، تربطه دائما بمفهوم الممارسة " **... فالنظرية و الممارسة في علاقة جدلية أي في حالة من التأثير المتبادل....** " (2).

إن الوعي السياسي ربما يكون أو على الأقل - يجب أن يكون - شكله الأكثر أصالة و دلالة يكمن في الممارسة و الممارسة السياسية بالذات، و إننا لا نقصد هنا مطلقا من خلال معنى الممارسة السياسية التي تعني وعيا سياسيا فاعلا ؛ أية فكرة مسبقة أو حكما قيما، فالوعي بشتى أشكاله و صورته هو في نهاية الأمر شكل للوعي أو بالأحرى موقف و تصور يرتبط بجذوره و مداه الاجتماعي و النفسي ؛ كما أن الممارسة مهما كان شكلها هي في الحقيقة نتيجة لتصور فكرة خاصة و مميزة.

¹ -1 علي سالم - الوعي بين الفرد و الجماعة - مرجع سبق ذكره - ص 71.

² -2 علي سالم - الوعي بين الفرد و الجماعة - مرجع سبق ذكره - ص 81.

و في سياق الحديث عن الوعي السياسي و الممارسة السياسية يجب أن نفرق هنا بين موقفين متمايزين : موقف سياسي ملتزم ضمن إطار سياسي رسمي يعبر عن برنامج سياسي و اجتماعي ثقافي متكامل ؛ و موقف سياسي (سلبي) يلتزم جانب الحياد و الحذر تجاه الأفكار و المواقف و البرامج المطروحة على الساحة الاجتماعية.

إن الفرق بين الموقف الأول و الموقف الثاني هو أن هذا الأخير يعتبر غامضا، و لا يفصح عن ولاءاته و أهدافه و تطلعاته، لأن الولاءات هي في الحقيقة موجودة على الدوام ؛ ففكرة الحياد المطلق هي ولاء ضمنى لاتجاه معين، لكنه غير ناضج مقارنة بالموقف الأول الذي يعتبر الولاء فيه واضحا، قابلا للقياس و ناضجا يتبنى موقفا يميزه و يعطيه قيمة في مواجهته لبقية الولاءات و الاتجاهات المضادة، و في ضوء ذلك نحاول أن ندرس مواقف الطلبة و الطالبات المتأرجحة بين مفهوم الحياد السياسي في مقابل الاختيار السياسي بغية التوصل إلى تحليل مضمون الوعي السياسي ضمن الفضاء الجامعي.

أ- الحياد السياسي:

نقرأ في الجدول (1 - IV) أن نسبة 81.96% من مجموع طلبة و طالبات المعاهد الثلاثة (علم الاجتماع، الحقوق، الإعلام الآلي) لا يمارسون أي انخراط ضمن الأحزاب السياسية، في حين لا تتجاوز نسبة المنخرطين 7.42%، و تمثل نسبة الذين امتنعوا عن التصريح 9.62% و هي أعلى حتى من نسبة المنخرطين كما نلاحظ.

إن القراءة التحليلية الأولية لهذا الجدول تجعلنا نركز على عاملي اختلاف الشعب الدراسية و الاختلاف بين الجنسين كمحددتين للمواقف الطلابية ؛ حيث أن نسبة المنخرطين في الأحزاب السياسية تمثل 10.67 % لدى الذكور، في حين لا تتجاوز 3.34 % لدى الإناث ؛ وهي صورة جزئية لما يميز النظام الاجتماعي العام فيما يخص الجانب السياسي منه، حيث مازالت المرأة في مجتمعنا مهمشة، و حيث لا يزال الفعل و السلطة و التمثيل في النظام السياسي حكرا على الرجل، و هذا مما لا يشجع المرأة على الممارسة و النضال السياسي الذي يمثل بالنسبة لها لعبة عبثية في ظل هكذا نظام.

المواقف		المعهد 1 معهد علم الاجتماع						المعهد 2 معهد الحقوق				المعهد 3 معهد الإعلام الآلي				المعهد 4 مجموع المعاهد الثلاثة			
		المجموع		إناث		ذكور		المجموع		إناث		ذكور		المجموع		إناث		ذكور	
		%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد
منخرط	1	0	1	2.22	6	2	8	16.0	1	0	1	2.5	1	8	10.67	2	3.34	10	7.42
غير منخرط	24	19	43	95.56	17	20	37	74.0	17	15	32	80.0	58	77.33	54	90.0	112	82.96	
بدون تصريح	0	1	1	2.22	2	3	5	10.0	7	0	7	17.50	9	12.0	4	6.66	13	9.62	
المجموع	25	20	45	100	25	25	50	100	25	15	40	100	75	100	60	100	135	100	

جدول (1 - IV). - الطلبة و الانخراط في الأحزاب السياسية -

إن السياسة مازالت تمثل (تابو) بالنسبة لكثير من الطلبة و الطالبات ؛ فهي كما يصرح أحد الطلبة " **مجال صعب و معقد يؤدي إلى متهات كثيرة يصعب على الفرد الخروج منها...** " أو كما يقول طالب آخر " **إنها تعني النفاق و الكذب و التزوير " ؛** نقول إن هذه التصورات الجذرية تجاه السياسة، إلى جانب عاملي الشعبة الدراسية و الجنس، ليست كافية وحدها لتفسير ابتعاد الطالب أو الطالبة عن الممارسة السياسية ضمن الأحزاب، أو بمعنى آخر أن الطالب الجامعي لا تخيفه فكرة السياسة في حد ذاتها، بقدر ما تخفيه لعبة الانخراط و النضال داخل إطار تنظيمي رسمي.

ندلل على هذا التحليل من خلال الجدول (2 - IV) الذي يمثل مواقف الطلبة و الطالبات تجاه الجمعيات الثقافية و الخيرية (غير سياسية)؛ حيث نسبة المنخرطين في هذه الجمعيات من مجموع طلبة و طالبات المعاهد الثلاثة لا تتجاوز 4.45%، في حين تصل نسبة غير المنخرطين إلى 83.93% حيث لا مجال هنا - حسب رأينا - للحديث عن المخاوف و التحذيرات تجاه السياسة، بقدر ما نتحدث عن مواقف ثقافية و سلوكيات اجتماعية تجاه فكرة أو موضوع اجتماعي معين ؛ و إذا رجعنا إلى الجدول الخاص بمواقف الطلبة و الطالبات من المنظمات الطلابية، فإننا نسجل أيضا قلة المنخرطين في هذه المنظمات، و كما قرأنا التبريرات التي قدمها الطلبة و الطالبات حول عدم انخراطهم كما أشرنا إليه سابقا، و التي كان من بينها أن هذه المنظمات ذات طابع سياسي و تخدم اتجاهات سياسية معينة*.

*3 - راجع الفصل الثالث من هذا البحث - ص 99 - 100 - و الجدول (13 - III).

إن هذه التبريرات قد تسقط أمام موقف (التخوف) من لعبة الانخراط و النضال ؛ حيث أننا نعتقد هنا أن للمحيط الجامعي دورا رئيسيا في تفسير هذه المواقف، و نعني بالذات المجال الاجتماعي و النفسي، الذي يعيشه الطالب الجامعي متميزا بذلك عن بقية الفئات و الشرائح الاجتماعية الأخرى.

المواقف		المعاهد		1		2		3		4						
		معهد علم الاجتماع		معهد الحقوق		معهد الإعلام الآلي		مجموع المعاهد الثلاثة		مجموع						
		ذكور	إناث	المجموع	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع				
		%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد					
منخرط	2	0	2	4.45	2	2	0	2	4.0	2	0	2	4.45	2	0	2
غير منخرط	23	19	42	93.3 3	21	22	21	86.0	43	31	14	17	77.5 0	61	55	81.3 4
بدون تصريح	0	1	1	2.22	2	3	2	10.0	5	7	0	7	17.5 0	9	4	12.0
المجموع	25	20	45	100	25	25	25	100	50	40	15	25	100	75	60	100

جدول (2 - IV) - الطلبة و الانخراط في الجمعيات غير السياسية
(ثقافية، خيرية) -

إن الحرية المطلقة التي يتمتع بها الطالب الجامعي إلى جانب عامل السن، يلعبان دورا قويا في عدم انخراط الطلبة و الطالبات ضمن الأطر السياسية أو النقابية أو الثقافية، و معنى ذلك أن الطالب الجامعي ليس على استعداد تام للتضحية بحريته التي تميزه مقابل الانضمام إلى حزب أو جمعية ثقافية أو منظمة طلابية ؛ حيث أن فكرة النضال تتطلب التزامات و تضحيات كبيرة تضحية بالوقت، و بالجهد، و بالالتزام السياسي و الفكري، فقد علل أحد طلبة الحقوق عدم انخراطه في إحدى المنظمات الطلابية بقوله : " إن هذه الجمعيات تقيدني و تحد من حريتي، التي لست على استعداد للتضحية بها، كما أنني أفضل تجنب جميع المشاكل....".

إن هذا (الكسل المقدس) الذي يجبذه الطالب الجامعي هو الذي يفسر قلة النشاط و الممارسة السياسية له خارج إطار الانخراط الرسمي ؛ حيث أن نسبة 65.93% جدول (3 - IV) من مجموع طلبة و طالبات المعاهد الثلاثة لم يشاركوا في أي تجمع أو مسيرة لحزب أو أحزاب سياسية متعددة ؛ رغم كثافة و تعدد هذه المسيرات و التجمعات منذ ظهور التعددية، فقد تكاد تكون يومية.

و حتى الطلبة الذين شاركوا في هذه النشاطات لم تتجاوز مشاركتهم مرة أو مرتين فقط، حيث تمثل نسبة هؤلاء 15.56% ؛ و إن هذه المشاركة تمكن إرجاعها إلى فكرة التطلع و المشاهدة، فإن هذا النوع من النشاط السياسي (المسيرات و التجمعات) يعتبر جديدا بالنسبة لمجتمعنا، بدليل أن الطالب بعد هذه المشاركة الأولية يتوقف عن ذلك، حيث أن نسبة مجموع الطلبة و الطالبات الذين شاركوا أكثر من خمس مرات ضمن هذه النشاطات لا تتجاوز 5.92% جدول (3 - IV).

إن المواقف المؤكدة - على الأقل من الناحية الشكلية - للطلبة فيما يخص الحياد السياسي الذي عبرنا عنه بالوعي السياسي (السلبي) على أساس أنه يتأثر بالأحداث أكثر مما يؤثر فيها، و يفضل المشاهدة و المشاركة السلبية على حساب المشاركة الفعالة و الإيجابية ؛ هذه المواقف تتجذر أكثر عندما نقرأ معطيات الجدول (4 - IV).

4 مجموع المعاهد الثلاثة						3 معهد الإعلام الآلي				2 معهد الحقوق				1 معهد علم الاجتماع			المعاهد حجم المشاركة	
المجموع		إناث		ذكور		المجموع		إناث	ذكور	المجموع		إناث	ذكور	المجموع		إناث		ذكور
%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد			%	الع دد			%	الع دد			
65.9 3	89	88.3 4	53	48.0	36	67.5 0	27	15	12	56.0	28	19	9	75.5 6	34	19	15	لم يشارك في أي أي نشاط
15.5 6	21	3.34	2	25.3 4	19	10.0	4	0	4	18.0	9	2	7	17.7 8	8	0	8	مرة أو مرتين
3.71	5	1.66	1	5.33	4	2.50	1	0	1	8.0	4	1	3	0	0	0	0	ثلاث أو أربع مرات
5.92	8	1.66	1	9.33	7	2.50	1	0	1	10.0	5	1	4	4.44	2	0	2	أكثر من 5 مرات
8.88	12	5.0	3	12.0	9	17.5 0	7	0	7	8.0	4	2	2	2.22	1	1	0	بدون تصريح
100	13 5	100	60	100	75	100	40	15	25	100	50	25	25	100	45	20	25	المجموع

جدول (3 - IV). - مشاركة الطلبة في مسيرات الأحزاب السياسية -

إن نسبة 30.06% من مجموع التصريحات الطلابية بالنسبة للمعاهد الثلاثة مجتمعة حول من يملك وعيا سياسيا أكثر، اختارت الشخص الحيادي كإنسان يتمتع بوعي سياسي ناضج، و لكن هذا الموقف لا يعني مطلقا أن الحياد في منظور الطلبة هو اللامبالاة و التجاهل لما يجري في المحيط الاجتماعي من حركية سياسية، بل إنه يعني بالخصوص " **الذي يراقب الأحداث من بعيد، و يحللها تحليلا علميا موضوعيا** " أو " **الذي يملك فهما علميا للتاريخ، و له إطلاع واسع بكل الأمور و يستطيع تحليلها تحليلا ثقافيا و اجتماعيا** " كما يصرح بذلك طالبان، الأول من معهد الحقوق و الثاني من معهد علم الاجتماع.

4 مجموع المعاهد الثلاثة						3 معهد الإعلام الآلي				2 معهد الحقوق				1 معهد علم الاجتماع			المعاهد المواقف	
المجموع		إناث		ذكور		المجموع		إناث	ذكور	المجموع		إناث	ذكور	المجموع		إناث		ذكور
%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد			%	الع دد			%	الع دد			
15.3 4	25	7.25	5	21.2 8	20	13.4 6	7	2	5	15.7 9	9	2	7	16.6 6	9	1	8	المنخرط في حزب سياسي
11.0 5	18	10.1 5	7	11.7 2	11	11.5 3	6	3	3	12.2 9	7	3	4	9.26	5	1	4	الذي يؤيد برنامجا حزبيا ليس منخرطا
8.59	14	5.80	4	10.6 6	10	9.62	5	1	4	5.27	3	2	1	11.1 1	6	1	5	المنخرط في منظمة طلابية
9.82	16	15.9 4	11	5.31	5	9.62	5	3	2	7.02	4	3	1	12.9 7	7	5	2	المنخرط في جمعية
30.0 6	49	39.1 3	27	23.4 0	22	25.0	13	5	8	31.5 7	18	11	7	33.3 3	18	11	7	الحيادي
12.2 6	20	13.0 4	9	11.7 1	11	9.62	5	4	1	14.0 3	8	2	6	12.9 7	7	3	4	غير ذلك
12.8 8	21	8.69	6	15.9 5	15	21.1 5	11	0	11	14.0 3	8	5	3	3.70	2	1	1	بدون تصريح
100	16 3	100	69	100	94	100	52	18	34	100	57	28	29	100	54	23	31	المجموع

جدول (4 - IV). - تصورات الطلبة حول الشخص الذي يملك وعيا سياسيا أكثر -

- ملاحظة : يتعلق المجموع العام بعدد الاختيارات و ليس بعدد أفراد العينة، حيث بإمكان مبحوث واحد أن يحدد أكثر من اختيار.

إن اختيارات أخرى تمثل بالنسبة لمجموع الطلبة و الطالبات 12.26 %، و غالبا ما يسمي الطالب أو الطالبة هذا الاختيار، و يدور عموما حول المثقف أو الذي يملك ثقافة سياسية واسعة، و لكن لا ننسى أن نسبة الطلبة الذين لم يدلوا بأي تصريح حول هذا الموضوع تصل إلى 12.88%، و هو ما يعني إما صعوبة تحديد مفهوم الوعي بالنسبة للطلبة، أو (لخطورة) أسئلة الاستمارة كما صرح بذلك أحد طلبة الإعلام الآلي.

إننا نلاحظ كذلك أن الاختلاف بين الجنسين يبدو واضحا في هذا السياق، فنسبة 23.40% تمثل اختيارات الطلبة المذكور حول الشخص الحيادي مقابل 39.13% بالنسبة لاختيارات الإناث حول نفس الفكرة؛ و يرجع ذلك إلى الأسباب التي ذكرناها في مرحلة سابقة من هذا البحث، و تتعلق بالوضعية السياسية للمرأة في مجتمعنا.

ب- الاختيار السياسي :

إن عدم ميل الطالب الجامعي للانخراط ضمن اتجاه أو تجمع سياسي معين، و تفضيله لفكرة الحياد، لا يعني أبدا أنه لا يملك أي تصور أو موقف سياسي؛ بل أن بإمكانه الاختيار و التحديد فيما يخص اختلاف الاتجاهات و البرامج السياسية المطروحة على الساحة الوطنية.

إن هذه الفكرة السوسولوجية تؤكدها نسبة مشاركة مجموع الطلبة و الطالبات بـ 60.0% في الانتخابات التي جرت في (جوان 1990) الخاصة بتجديد المجالس الشعبية البلدية و الولائية، و هذا ما نلاحظه من خلال جمعنا للنسب الخاصة بالمشاركة الانتخابية (مهما كان شكلها) و التي يوضعها الجدول (5 - IV) ؛ و لكن هذا لا يمنع من تسجيل أن نسبة 31.12 % لم تشارك في هذه العملية.

لنتوقف هنا قليلا عند النسبة الأخيرة التي ذكرناها، ثم نضيف نسبة 8.88% من مجموع الطلبة و الطالبات، تتعلق بسلوك انتخابي خاص مارسه الطلبة خلال عملية الانتخاب، و يعني المشاركة السلبية أو بمعنى آخر عدم اقتراح أي حزب أو تنظيم و وضع الغلاف فارغا في الصندوق الخاص بذلك، و إنما هي عبارة عن ممارسة انتخابية فقط بحكم العادة، و من أجل طبع بطاقة الانتخاب ؛ و هو سلوك سياسي متوارث عن العهد السياسي لما قبل التعددية الحزبية ؛ فقد كانت المشاركة في الانتخابات خلال ذلك العهد تتم فقط من أجل طبع بطاقة الانتخاب، التي كانت إحدى الوثائق الأساسية لتكوين أي ملف.

المجموع	4 مجموع المعاهد الثلاثة						3 معهد الإعلام الآلي				2 معهد الحقوق				1 معهد علم الاجتماع			المعاهد الإختيارات	
	المجموع		إناث		ذكور		المجموع		إناث	ذكور	المجموع		إناث	ذكور	المجموع		إناث		ذكور
	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد			%	الع دد			%	الع دد			
	11.8 6	16	25.0	15	1.33	1	7.50	3	3	0	14.0	7	7	0	13.3 4	6	5	1	FL.N
	37.7 8	51	25.0	15	48.0	36	35.0	14	4	10	40.0	20	6	14	37.7 7	17	5	12	F.I.S
	0.74	1	0	0	1.33	1	0	0	0	0	0	0	0	0	2.22	1	0	1	P.R.A
	0.74	1	1.66	1	0	0	2.50	1	1	0	0	0	0	0	0	0	0	0	R.C.D
	8.88	12	13.3 4	8	5.34	4	10.0	4	3	1	6.0	3	3	0	11.1 2	5	2	3	B.N مشاركة سلبية
	31.1 2	42	30.0	18	32.0	24	27.5 0	11	4	7	32.0	16	7	9	33.3 3	15	7	8	عدم المشاركة (امتناع)
	8.88	12	5.0	3	12.0	9	17.5 0	7	0	7	8.0	4	2	2	2.22	1	1	0	بدون تصريح

100	$\frac{13}{5}$	100	60	100	75	100	40	15	25	100	50	25	25	100	45	20	25	المجموع
-----	----------------	-----	----	-----	----	-----	----	----	----	-----	----	----	----	-----	----	----	----	---------

جدول (5 - IV). - أشكال المشاركة الانتخابية للطلبة في انتخابات المجالس الشعبية

البلدية و الولائية (جوان 1990) .

و لكن هل يعتبر هذا التفسير كافيا خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار نسبة الطلبة و الطالبات الذين لم يشاركوا في تلك الانتخابات 31.12% (الجدول 5 - IV) ؟ إننا لا نعتقد ذلك ؛ بل إن التبرير الأرجح هو أن الطالب الجامعي لا يزال يعاني غموضا في تحديد موقف سياسي معين، كما أن مشكل الاختيار السياسي بالنسبة له، يعود إلى طبيعة البرامج و الأفكار التي تطرحها الأحزاب السياسية المتواجدة على المستوى الوطني لأن " **كل الأحزاب المتواجدة على الساحة غير مقنعة، ولا تلتزم بالمشروع الكلاسيكي الفارغ، وهي لا تأخذ مصالح الشعب بعين الاعتبار، همها الوحيد هو الوصول إلى المناصب...**"، كما صرحت بذلك طالبة في معهد الحقوق.

F.I.S - حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ المنحل حاليا، حيث تم
P.R.A - حزب التجديد الجزائري. R.C.D - حزب

F.L.N⁴ - حزب جبهة التحرير الوطني.
حله بقرار قضائي سنة 1992.
التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية.
B.N (Bulletin nul) ورقة انتخابية ملغاة.

و لكن رغم ذلك أليس من المشروعية أن نتساءل عن مدى امتلاك الطالب أو الطالبة لشجاعة الاختيار مهما تكن الظروف و الملابسات؟! لأن الانتخاب كما يعرفه ريمون بودون (R.Boudon) " هو إجراء يكون بموجبه أعضاء مجموعة معينة (أيا تكن غايتها الرئيسية)، قادرين على تعيين قادتهم، و على تحقيق اختيارات جماعية فيما يتعلق بقيادة شؤونهم العامة"⁽¹⁾، كما أن الانتخاب السياسي له سمة تميزه عما عداه " فالمواطن لا يعبر عن أفضلياته الفردية، وإنما هو يعبر عن موقفه حيال الخير العام أو المصلحة العامة؛ فهو لا يقول ما يبدو مطابقا لمصلحته الخاصة، وإنما هو يعلن ما يتفق مع مصلحة الجسم السياسي"⁽²⁾.

إن الاختيارات السياسية للطلبة و الطالبات تبدو واضحة إزاء وجود تعددية سياسية و حزبية، فنسبة الطلبة و الطالبات الذي انتخبوا حول برنامج حزبي معين تبلغ 51.12% إذا قمنا بجمع هذه النسب في الجدول (5 - IV)؛ و هذا يؤكد أن مفهوم الاختيار السياسي لدى الطالب الجامعي لا يرتبط بالضرورة بالانتماء الحزبي و النضال الرسمي، بقدر ما ينم عن وعي سياسي و اجتماعي يأخذ موقفا يعبر عن فكرة سياسية معينة.

⁵1- ر. بودون- و.ف. بوريكو - المعجم النقدي لعلم الاجتماع - ترجمة سليم حداد-د.م.ج الجزائر 1986 - ص 66.

⁶2- ر بودون - و.ف - بوريكو - مرجع سبق ذكره - ص 66.

إن هذا المدلول يأخذ معناه أكثر عند قراءتنا للاختيارات الطلبة و الطالبات السياسية لبرامج الأحزاب الناشطة على السياسية الوطنية، حيث نقرأ في الجدول (5 - IV) أن نسبة مجموع طلبة و طالبات المعاهد الثلاثة (علم الاجتماع، الحقوق، الإعلام الآلي) الذين اختاروا برنامج حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ المنحل هي 37.78% مقابل نسبة 11.86% اقترحوا على برنامج حزب جبهة التحرير الوطني.

هنا يجدر بنا التنويه بملاحظة أساسية تتعلق بتشابه هذه النسب مع النسب العامة المسجلة وطنيا في نفس المناسبة الانتخابية ؛ حيث فاز الحزب الأول بنسبة 45.66% بالنسبة للمجالس البلدية و نسبة 55.04% بالنسبة للمجالس الولائية ؛ في حين فاز حزب جبهة التحرير الوطني بنسبة 36.60% للبلديات و نسبة 35.61% للولائيات⁽¹⁾.

⁷1- François Burgat – La mobilisation islamiste et les élections algériennes du 12 juin 1990 – Monde arabe – « Maghreb, Machrek » – N° 129 Juil – Sep 1990 – P 7.

إن الدلالة السوسولوجية لذلك تحيل إلى أن الجامعة كجزء من المجتمع صارت تتأثر بأبعاده أكثر مما تؤثر فيه ؛ كما أن الاختيارات السياسية لفئة الطلبة تتبع للاختيارات الاجتماعية العامة فالجامعة كما يرى أحد المثقفين الجزائريين " لم تعد تساهم في تربية جماهير الشعب، فقد أفقدتها الإيديولوجية المهيمنة توازنها و أبعدها عن رسالتها كمصدر للمعرفة و صراع الأفكار " (2) ؛ و يؤكد آخر أن الجامعة لم تعد تبذل أعضاء قادرين على الاختيار الحاسم في القضايا الوطنية الكبرى حيث يقول : " لقد فرض النظام السياسي الحاكم نموذجا للمجتمع، و بالنتيجة نموذجا لجامعة تهتم أكثر بتكوين مواطن خامل و سطحي و خاضع ؛ بدلا من تكوين مواطن صارم و عقلائي و مبدع " (3).

و من هنا فإن الاختيارات السياسية للطلبة و الطالبات تعود في مرحلة أولى إلى الانفعال بالثقافة السياسية الشعبية السائدة في الأوساط العامة، و تتأثر ثانيا بالارتباط بالأصل الاجتماعي " فالأفراد يتحركون دائما وفق مجموعة الانتماء المرجعية، بحيث يجسدون تصورا يظنون أنه واقعي، بينما يفرزون في حقيقة الأمر معتقدا " (1)

²- Mustapha Cherif – Culture et politique au Maghreb – Ed : Maghreb – Relations. Alger 1996 – P 47.

³- Lies Mairi – Faut – il fermer l’université – Ed : E.N.A.L Alger 1994 – P 12.

¹⁰1- محمد بابوش – مرجع سبق ذكره – ص 106.

إن انتخاب نسبة 37.78% من مجموع المبحوثين على حزب ذو بعد إسلامي و ديني معروف من جهة، و امتناع نسبة 31.12% من مجموع الطلبة و الطالبات المبحوثين عن المشاركة في هذه الانتخابات من جهة ثانية ؛ يعطي الانطباع بأن الوسط الجامعي يحمل وعيا سياسيا رافضا للواقع الاجتماعي و السياسي السائد، و رغبة ملحة في التغيير حتى و لو كان البديل مجهولا و غامضا ؛ أو لعله " **العودة الانتقائية إلى التقليدي، كي نستقي منه نماذج قادرة على إعادة توازن نظام الوجود الجديد، و يعني التلاعب بالحاضر الإشكالي من خلال سلوكات مأخوذة من الماضي**"⁽²⁾، أو كما لاحظ أحد الباحثين أن الفرد الجزائري " يعيش ثقافته بشكل تقاطبي للغاية، تتجاذبه الرغبة ببلوغ الحداثة و قلقه من فقدان الأصالة..."⁽³⁾ ؛ و من هنا كان استحواذ الظاهرة الدينية على الحياة الاجتماعية و السياسية في المجتمع الجزائري و المجتمعات العربية بصورة عامة.

2-IV. الوعي الاجتماعي و الوعي السياسي للطلاب :

¹¹2- نور الدين طوالي - الدين و الطقوس و التغييرات - ترجمة و جيه البعيني - منشورات عويدات - بيروت - 1988 - ص 32.

¹²3- نور الدين طوالي - في إشكالية المقدس - ت. و جيه البعيني - منشورات عويدات - بيروت - 1988 - ص 19.

إن الوعي الاجتماعي الذي يعني الأشكال المختلفة للفكر أو الأفكار السائدة في مختلف المجالات، يشمل بالضرورة الأفكار السياسية ؛ و بالتالي يصبح الوعي السياسي عنصرا من الوعي الاجتماعي و جزء مكمل له ؛ كما أن الرمزية الدينية في الوسط الثقافي تتوافق مع المرجعية التاريخية و الحضارية للمجتمعات و أخلاقياتها.

و عليه فإن الحياد السياسي الذي يأخذه شكل الوعي السياسي الطلابي، بالإضافة إلى معنى و مدلول الاختيار السياسي للطلبة و الطالبات يمكن أيضا تحليلهما و فهم أبعادهما، من خلال قراءة سوسيولوجية لوعي الطلبة و الطالبات حول مجتمعهم، و مدى و كيفية ارتباط الوعي السياسي بالوعي الديني، و هذا ضمن حدود التصورات الطلابية السياسية و المعرفية للأفكار و المواقف.

و من هنا نتساءل عن ماهية دلالات الحياد السياسي بالنسبة للطلاب الجامعي ؟ و ما هي المواقف التي يؤدي إليها هذا الحياد فيما يتعلق بتصورات الطلبة و الطالبات تجاه المجتمع بمختلف فئاته و تشابك علاقاته ؟ و هل تؤثر وضعية الطالب و رمزيته داخل المجتمع على تحديد هذه المواقف ؟ و ما هي دلالات الارتباط بين الوعي السياسي و الوعي ديني لدى الطالب الجامعي ؟ هذه الأسئلة و غيرها سنحاول الإجابة عليها في الجزء الموالي من هذا الفصل.

أ- وعي الطالب حول مجتمعه :

إن الوعي السياسي المحايد، و الذي يميز هنا الطالب الجامعي كإطار لتجميع شتى الأفكار و الإيديولوجيات ؛ يبدو أن الذي يؤثر فيه إلى جانب الأصول الاجتماعية المهنية، وشعبة الدراسة و ظروف الحياة الجامعية ؛ هو رمزية الطالب و قيمته الاجتماعية، مقابل رمزيات و قوى اجتماعية أخرى، تساهم في ترتيب القيم و السلطات داخل المجتمع.

و يبدو أن هذا العامل هو الذي يوحد تصورات الطلبة و يجمعهم باختلافهم حسب معطى الجنس، و اختلاف محتويات الشعب الدراسية، و اختلاف أصولهم الاجتماعية و الجغرافية، و ظروفهم الاجتماعية حيث أن " **وجودنا في هذا العالم ليس حياديا ؛ فكل منا له موقف و رد فعل إزاء قضية معينة، و لكن نادرا ما يكون - حتى لا نقول أبدا - أن نبقى غير مباليين إزاء حقيقة واقعية تصادفنا**"⁽¹⁾.

¹³ -1 غاستون ميالري - سيكولوجية البيداغوجيا-ترجمة عزيزي عبد السلام- دار الآفاق - الجزائر - 2001 - ص 74.

يعرّف كل من (P. Bourdieu) و (J.C Passeron) الطالب الجامعي ضمن موقعه من الإبداع الثقافي و الفكري في المجتمع كما يلي : " أن تدرس ليس معناه أن تبعد، و لكن حتى أن تبعد ليس معناه أن تبعد ثقافة، و أقل بكثير من أن تبعد ثقافة جديدة ؛ بل في أحسن الأحوال تكون مهينا للإبداع الثقافي، و لكن في معظم الأحيان، كمستعمل أو موصل جيد لثقافة أبداعها الآخرون، أي تكون كمعلم أو متخصص، و عموما أن تدرس ليس معناه أن تنتج، و لكن تنتج كمؤهل لأن تنتج..."(2) ؛ إن وضعية الطالب الجامعي هنا كمستهلك وفي لثقافة أنتجها آخرون، تجعله يعي مجتمعه و ظروفه تبعا لهذه الوضعية (الفريدة) إن صح التعبير ؛ حيث أننا لاحظنا بأن المواقف المسجلة من طرف المبحوثين تجاه التغيرات الاجتماعية التي يعرفها المجتمع، تنطلق من هذه الوضعية الفريدة.

في الجدول (6 - IV) نلاحظ أن نسبة 49.63% من مجموع طلبة و طالبات المعاهد الثلاثة (علم الاجتماع، الحقوق، الإعلام الآلي) لا يعتقدون أن الديمقراطية تحقق رقيا ثقافيا و اقتصاديا في الجزائر، أما نسبة المذنبين يرون عكس ذلك فتشكل 34.07% و إن هذه المواقف تتحدد أكثر دقة عندما تقرأ تصريحات الطلبة و الطالبات حول تبريرات اختباراتهم (للآ) أو (ال نعم).

¹⁴2- P.Bourdieu et J.C Passeron – Op cit – P84.

إن الديمقراطية بالنسبة للطلبة و الطالبات الذين أجابوا بنعم تتمثل خاصة في أنها : " تسمح بممارسة نوع من الحرية التي تساعد على الخلق و الإبداع، و انتشار روح النقد الذاتي، التي تساهم في تبادل الأفكار... " وهي كذلك " عبارة عن وعي " " " " أن يساير الأوضاع الراهنة في بلاده و تجعله على علم بالنقائص في مختلف الميادين... "، كما أنها " تسمح بتعدد الحريات الذي يؤدي بدوره إلى تعدد الثقافات النامية و المتطورة " وهي " تعطي فرصة لكل شخص في التعبير عن رأيه، و هذا ما يؤدي إلى خلق رصيد ثقافي للوطن " وأخيرا هي تعني " يقضة الشعب و سيادة السلام، العدل، الأخوة، المساواة و الإسلام "، كما ورد في هذه التصريحات الطلابية المختلفة و المأخوذة كعينة.

المعاهد		1			2			3			4				
		معهد علم الإجتماع			معهد الحقوق			معهد الإعلام الآلي			مجموع المعاهد الثلاثة				
الإختيارات		المجموع		إناث		ذكور		المجموع		إناث		ذكور		المجموع	
		%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد	%	الع دد
نعم		37.7 8	17	7	10	38.0 19	7	12	25.0 10	7	3	33.3 4	25	34.0 7	46
لا		48.8 9	22	8	14	48.0 24	15	9	52.5 0	21	8	48.0 36	36	49.6 3	67
بدون تصريح		13.3 3	6	5	1	14.0 7	3	4	22.5 0	9	0	18.6 6	14	16.3 0	22
المجموع		100	45	20	25	100	50	25	100	40	15	100	75	100	135

جدول (6 - IV). - آراء الطلبة و مواقفهم حول الديمقراطية في الجزائر

(هل تحقق الديمقراطية - حسب رأيك - رقيا ثقافيا و اقتصاديا للمجتمع الجزائري ؟).

هنا يجب ألا نمر قبل تسجيل الملاحظة التالية : إن معظم الطلبة و الطالبات الذي أجابوا بنعم، ينظرون إلى الديمقراطية على أنها حرية تعبير و إبداع و مساواة و غير ذلك من التصورات المثالية، أو بمعنى آخر، إن الديمقراطية بالنسبة للطلبة و الطالبات تحقق مكاسب ثقافية و معنوية أكثر منها مادية و اقتصادية ؛ حيث أنهم يصرون على مبادئ كالحرية، و العدالة و المساواة و النقد و غيرها، و توحى لنا هذه الملاحظات بأمرين : 1- الرغبة الملحة لدى الطالب الجامعي في التعبير عن آرائه و أفكاره بشكل مسموع. 2- الرغبة في التعبير عن مشاكله و إرادته في المشاركة بنقد الوضع الاجتماعي و تقييمه مع ألتوق إلى التحرر الاجتماعي و الثقافي.

إن الملاحظات السالفة الذكر تتعمق أكثر عندما نقرأ تصريح الطلبة و الطالبات حول تبريرات اختيارهم للجواب (بلا) على نفس السؤال (هل تحقق الديمقراطية حسب رأيك رقيا ثقافيا و اقتصاديا للمجتمع الجزائري ؟) ؛ حيث تحمل تلك التصريحات وعيا نقديا للمجتمع : " **إننا لم نصل بعد إلى النضج الذي نفهم من خلاله الديمقراطية و ما تعنيه، كل واحد يفهمها على طريقته، كما أن الوقت غير مناسب و لم يتم اختياره بدقة " أو " الديمقراطية في الجزائر كلاما و ليس فعلا، و هذا ما نلاحظه على ساحة الواقع " و هذا تصريح آخر " إن الجزائريين لا يعرفون معنى الديمقراطية، و يرجع ذلك إلى الجهل و الأمية، و طغيان الأحزاب و التطلعات اللاواعية.. " و نقرأ كذلك: " الديمقراطية عندي تعني الهمجية و هي فكرة يهودية... " كما أن الديمقراطية بالنسبة لتصريح آخر: " إنها تطبق على أرض هشة، في ظل اقتصاد هش، و تبعية للأعداء الذين يحاولون توطيد الأحزاب و الأشخاص الذين يخدمون مصلحة هؤلاء الأعداء.. " أو " أية ديمقراطية يراد تطبيقها مع هذا المجتمع، فكل أفراده إلا - القليل منهم - كثيروا الكلام و القيل و القال، عديمي العمل، تهاون، خيانة و سرقة " و هذا تصريح آخر " إن الشعب الجزائري ينقصه الوعي السياسي، حيث جعلتنا الديمقراطية نتكلم كثيرا و لا نفكر " و آخر يصرح " **إننا لسنا أهلا للديمقراطية، فقد استعملناها لهدم الاقتصاد، و إضعاف المستوى في كل المجالات "، " إن المواطن الجزائري لا تنقصه الديمقراطية، إنما ينقصه الوعي بالمسؤولية، و يجب تهيئته قبل****

أن تمنح له " ، " إن هذا المجتمع لن يتغير ولن ينفع معه أي إصلاح، إننا مجتمع متخلف مبني على الغش و على العصبية و الجهوية، و الناس غير مهئين لقبول الأشياء و التسليم بها بروح موضوعية " .

إن هذا الوعي النقدي الطلابي الموجه نحو المجتمع يرتبط حسب رأينا بمقولة (جورج غور فيتش) : " إن المعرفة السياسية تشكل في صورة ما، اقترانا بين عدة أنواع من المعارف، معرفة الآخر و نحن، معرفة الحس السليم، المعرفة التقنية، و أخيرا المعرفة المباشرة للمعالم الاقتصادية و النفسانية الخاصة بالواقع الاجتماعي، من خلال تجلياتها في الظروف الشاملة " ⁽¹⁾، من هنا نستطيع القول أن وعي الطالب للمجتمع ينطلق من وضعيته و قيمته الرمزية داخل هذا المجتمع، و مدى مشاركته في صنع ظروف هذا المجتمع و بنياته الفكرية و الثقافية.

¹⁵ جورج غور فيتش - الأطر الاجتماعية للمعرفة - مرجع سبق ذكره - ص 41.

يبدو أن الطالب الجامعي يعاني تهميشا كبيرا من طرف مجتمعه ؛ حيث أن انتقادات الطلبة و الطالبات المدونة سالفا تؤكد هذه الفكرة ؛ والذي يفسرها أكثر تصريحاتهم حول وضعيتهم أو ما نسميه هنا (وعي الطالب حول نفسه) حيث نقرأ ما يلي : يتساءل أحد طلبة معهد الحقوق : " ما هي وضعية الطالب من الامتيازات المادية التي يتمتع بها نواب البرلمان مثلا "، و طالبة أخرى من نفس المعهد تتساءل " ما هو دور كل طالب في هذه الحياة؟ و لماذا كل الطلبة يعانون من كل شيء في هذه الدنيا؟! "، ويصرح طالب آخر : " إن مجتمعنا غير واع و الدليل على ذلك مصدر التغيير الذي هو الطالب غير واع فكيف يمكن أن نقول أن المجتمع يرقى ؟ " ثم تتساءل طالبة أخرى: " كيف يمكن الخروج من الوضعية المزرية التي يعيشها الطالب على كل المستويات ؟، كيف نرجع للطلاب قيمته و مستواه ؟ " .

إن نظرة الطالب و وعيه لذاته ينطلق كما نلاحظ من وعيه لمجتمعه و قيمته ضمن هذا المجتمع ؛ وهذا ما تؤكد قراءتنا المتأنية لمعطيات الجدول (IV-7)؛ حيث يكاد يجمع طلبة و طالبات المعاهد الثلاثة (علم الاجتماع، الحقوق، الإعلام الآلي) على أن صاحب السلطة الأكبر في مجتمعنا هو الضابط العسكري بنسبة 41.05 %، ثم يأتي بعد ذلك "رجال السياسة" بنسبة 20.75 % من مجموع اختيارات الطلبة و الطالبات ؛ و هنا يجب أن نؤكد بأن اختيارات الطلبة و الطالبات حول رجل السياسة كانوا يتبعونه (أي الاختيار) بالتأكيد و التوضيح على أنهم يقصدون برجل السياسة : " **الناس الذين يحكمون في أعلى مستويات السلطة** " كما صرح أحدهم، و نشير هنا إلى أن نسبة 10.85 % من (اختيارات أخرى) تعني حسب توضيحات الطلبة و الطالبات رجال الأعمال الكبار، التجار الأغنياء.

4 مجموع المعاهد الثلاثة						3 معهد الإعلام الآلي				2 معهد الحقوق				1 معهد علم الاجتماع			المعاهد الاختيارات	
المجموع		إناث		ذكور		المجموع		إناث	ذكور	المجموع		إناث	ذكور	المجموع		إناث		ذكور
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد			%	العدد			%	العدد			
3.30	7	4.54	4	2.41	3	0	0	0	0	3.56	3	1	2	5.50	4	3	1	المثقف
7.08	15	4.54	4	8.87	11	3.57	2	1	1	5.95	5	0	5	11.11	8	3	5	رجل الدين
20.75	44	27.28	24	16.14	20	12.50	7	4	3	23.80	20	9	11	23.61	17	11	6	رجل السياسة
3.77	8	2.27	2	4.83	6	3.57	2	0	2	3.56	3	1	2	4.17	3	1	2	الإطار
6.60	14	3.42	3	8.87	11	17.86	10	2	8	2.36	2	0	2	2.78	2	1	1	الفنان
0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	العامل
41.05	87	40.91	36	41.14	51	35.72	20	8	12	39.37	33	15	18	47.23	34	13	21	الضابط العسكري
10.85	23	12.50	11	9.68	12	10.71	6	3	3	16.66	14	5	9	4.17	3	3	0	غير ذلك
6.60	14	4.54	4	8.06	10	16.07	9	1	8	4.74	4	2	2	1.38	1	1	0	بدون تصريح

100	$\frac{21}{2}$	100	88	$\frac{10}{0}$	$\frac{12}{4}$	100	56	19	37	100	84	33	51	100	72	36	36	المجموع
-----	----------------	-----	----	----------------	----------------	-----	----	----	----	-----	----	----	----	-----	----	----	----	---------

جدول (7 - IV) - تصورات الطلبة حول الشخص الذي يتمتع بسلطة أكبر في المجتمع الجزائري -

ملاحظة : يتعلق المجموع هنا بعدد الاختيارات و ليس مجموع أفراد العينة.

إن وعي الطالب الجامعي بأن المثقف لا يملك أية سلطة في المجتمع 3.30%، و كذلك الإطار 3.77% ؛ ذلك المجتمع الذي يراه الطالب مجتمعا مأزوما و متخلفا (كما رأينا في تصريحات الطلبة سابقا) ؛ نقول إن هذا الوعي هو الذي دفع الطالب لأن يرى بأن الحل الأساسي لأزمة المجتمع و مشاكله يرتكز على أساس ديني ؛ فكيف يرتبط إذن الوعي السياسي لدى الطلبة و الطالبات بالوعي الديني ؟ و ما هي دوافع الطلبة و الطالبات للربط بينهما ؟.

ب- الوعي السياسي و الوعي الديني :

رغم المواقف السلبية للطلبة تجاه الممارسة السياسية النضالية، و تجاه الظروف الاجتماعية الشاملة و التزام مبدأ (الحياد) لدى الطالب نتيجة لوضعيته، و ظروفه الاجتماعية، رغم كل هذا فإن (الحياد) لا يعني بالنسبة للطالب فقدان أو انعدام الاختيارات و المواقف تجاه الأساس الذي يجب أن يبنى عليه المجتمع ؛ و تجاه هذا الأساس ترتكز طموحات الطلبة و تصوراتهم لكيفية حدوث التغييرات الاجتماعية و مسارها الإيجابي.

نقول هذا لأننا لاحظنا أن الوعي السياسي لدى الطلبة يأخذ أساسا شكل الوعي الديني، فالمعرفة السياسية، كما يقول (جورج غور فيتش) : "...تتضمن الوعي الواضح للمصاعب التي ينبغي قهرها، و مسا

حادا بالسلوك الواجب اتخاذه في هذا الظرف الاجتماعي أو ذاك⁽¹⁾.

يمثل الدين بالنسبة للطلبة و الطالبات بنية معرفية و ثقافية و اقتصادية شاملة، تتجاوز بكثير الوضع الاقتصادي و الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع، فالدين : **" يشمل كل العلوم الاقتصادية و السياسية و القضايا الاجتماعية، و لا يمكن أن ندرس بدون أن تكون لنا مبادئ مرتبطة بعقيدة معينة كالإسلام..."**، كما صرحت بذلك إحدى طالبات معهد علم الاجتماع، و يصرح طالب آخر من نفس المعهد في نقده لاستمارة البحث : **" أضيف إليكم شيئاً أهملتموه، و هو تصوراتنا لكيفية بناء مجتمع جزائري إسلامي متقدم، و هو الإشكال الهـ ' ' ' ' المستوى الوطني، و له علاقة جد وطيدة مع موضوع بحثكم "**؛ و نلاحظ هنا كيف يصر هذا الطالب على ربط موضوع الوعي بالدين.

و طالب آخر يصرح بنفس معنى التصريح السابق، حيث يقول: **" أرى أنه كان من المستحسن طرح سؤال حول القرآن الكريم؛ ماذا تحفظ من القرآن الكريم و الأحاديث الشريفة ؟ لأن هذا له ارتباط مباشر مع تكوين الوعي الصحيح لدى الطالب الجزائري، و توجيهه توجيهاً مستقيماً و صحيحاً "**، و يصرح طالب آخر **" إن الكلمة الأخيرة في المجتمع يجب أن تكون للشرع، و ليس للشعب كما في الديمقراطية التي هي كلمة أجنبية، لا تتفاعل مع مبادئنا الحضارية "**.

¹⁶1- جورج غور فيتش - مرجع سبق ذكره - ص 40.

و بذلك فإن الشرطان الأساسيان اللذان يراهما الطلبة ضروريان، لكي تكون الجزائر دولة متقدمة هما : تطبيق الشريعة الإسلامية، و التخطيط الاقتصادي الصارم، و ذلك مع التطبيق الحازم للقوانين ؛ حيث نقرأ في الجدول (8 - IV) أن تصريحات الطلبة و الطالبات حول اختيارهم لمبدأ تطبيق الشريعة الإسلامية تصل إلى نسبة 30.07%، أما بالنسبة للشرط الثاني فتمثل نسبة الاختيارات 21.81% أما عن شرط التطبيق الحازم للقوانين فإن نسبة الاختيارات تصل 14.29%.

إن تصورات الطلبة و الطالبات تدل على أن أزمة المجتمع في منظورهم، هي أزمة أخلاقية، قيمية، اقتصادية و سياسية متداخلة ؛ حيث نلاحظ عند رجوعنا لقراءة الجدول (IV-5)* من هذا الفصل، و المتعلق بأشكال المشاركة الانتخابية لدى الطلبة و الطالبات ؛ أن نسبة 37.78% من مجموع طلبة و طالبات المعاهد الثلاثة (علم الاجتماع، الحقوق، الإعلام الآلي)، قد انتخبوا على حزب ذو توجه ديني، و ذلك مقابل 11.86% انتخبوا على حزب (جبهة التحرير الوطني)، و هذه النتائج تؤكد أمرين.

إن اختيارات الطلبة و الطالبات الانتخابية لم تخرج عن إطار الاختيارات العامة بالنسبة للمجتمع ككل ؛ و إن اختيار الطلبة و الطالبات لحزب معروف بتوجهاته الدينية الراديكالية، يثبت وعي الطلبة بضرورة إحداث تغيير اقتصادي و اجتماعي جذري يأخذ طابعا أخلاقيا و دينيا.

*17 - راجع الصفحة (111) من هذا البحث.

4 مجموع المعاهد الثلاثة				3 معهد الإعلام الآلي				2 معهد الحقوق				1 معهد علم الاجتماع				المعاهد الاختيارات		
المجموع		إناث		ذكور		المجموع		إناث		ذكور		المجموع		إناث			ذكور	
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد		%	العدد
30.07	80	25.0	30	34.2 5	50	29.7 6	25	11	14	29.0 3	27	9	18	31.4 6	28	10	18	تطبيق الشريعة الإسلامية
9.02	24	4.17	5	13.0 2	19	7.14	6	1	5	7.53	7	2	5	12.3 6	11	2	9	التعاون مع بلدان متقدمة
21.81	58	26.6 7	32	17.8 1	26	22.6 2	19	7	12	18.2 8	17	13	4	24.7 2	22	12	10	التخطيط الاقتصادي الصارم
10.53	28	13.3 3	16	8.22	12	7.14	6	3	3	10.7 5	10	5	5	13.4 8	12	8	4	الإجماع الوطني
14.29	38	17.5 0	21	11.6 4	17	15.4 8	13	7	6	16.1 3	15	8	7	11.2 4	10	6	4	التطبيق الصارم للقوانين
9.02	24	10.8 3	13	7.53	11	8.34	7	5	2	12.9 0	12	8	4	5.62	5	0	5	شرط آخر
5.26	14	2.50	3	7.53	11	9.52	8	0	8	5.38	5	2	3	1.12	1	1	0	بدون تصريح

100	266	100	120	100	146	100	84	34	50	100	93	47	46	100	89	39	50	المجموع
-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	----	----	----	-----	----	----	----	-----	----	----	----	---------

جدول (8 - IV) . - الشروط التي يراها الطلبة ضرورية لتكون الجزائر دولة متقدمة -

- ملاحظة : يتعلق المجموع بعدد الاختيارات و ليس بمجموع أفراد العينة.

لقد لاحظنا من خلال المشاركة المباشرة في بعض النشاطات الثقافية التي تقام داخل الجامعة، أن النقاشات و الحوارات التي تدور بين الطلبة خلال هذه النشاطات، تركز على موضوع الدين و علاقته بالحياة الثقافية و الاجتماعية للمجتمع ؛ ففي معرض أقيم حول موضوع (الثقافة البربرية) لاحظنا من خلال المناقشات المفتوحة بين الطلبة المشرفين على المعرض و الزائرين له، أن هناك إصرار من طرف الطلاب على تجاوز الأبعاد السياسية لأية قضية كانت تطرح للنقاش ؛ حيث تشكل تسمية الاتجاه السياسي بالنسبة للطلاب إحراجا له.

و لكن في المقابل نجد هناك إجماع على ضرورة إعطاء البعد الديني و الوطني لكل القضايا، و التركيز على أن هذين العاملين هما أساس الوحدة بين مختلف الأفكار و الاتجاهات و الأعراق داخل البلد، كما لاحظنا أن هناك إصرارا على أن النظام السياسي القائم هو السبب في كل المشاكل و الأزمات التاريخية و الثقافية التي عرفتها الجزائر منذ الاستقلال حتى اليوم.

يشكل الدين بالنسبة للطلاب الجامعي نسقا شاملا من الأفكار و التصورات، التي تجعله يتجاوز الوعي السياسي الكلاسيكي، إلى وعي سياسي يتحدد بوعي آخر و هو الوعي الديني، أو لنقل أن التداخل المتشابك، و أحيانا الغامض بين الوعي السياسي و الوعي الديني ؛ يجعل من هذا الأخير المحدد الرئيسي - في كثير من الأحيان - لكل أشكال الوعي الأخرى.

خاتمة عامة :

إذا كانت اختيارات الطلبة المهنية و الدراسية تتأثر بشكل مباشر باختلاف أصولهم الاجتماعية المهنية، و كذا أصولهم الجغرافية، و إذا كانت هذه الاختلافات تحدد أيضا شكل العلاقة الاجتماعية بين الطالب أو الطالبة و عائلة كل منهما ؛ فإن هذه المحددات تتدخل كذلك في صياغة شكل الوعي السياسي، و كيفية تبلوره من خلال تبني مواقف و تصورات سياسية و اجتماعية ترتبط بشكل مباشر و بصيغة ما بمظهر تقليدي لمواقف و تصورات الآباء.

إذا كانت تطلعات الطلبة المهنية المستقبلية ترتبط بشكل مباشر بمحتوى برنامج شعبة الدراسة، و قيمتها الاجتماعية، و امتدادها المهني، و كذا الاختلاف بين وضعية كل من الطالب و الطالبة داخل المجتمع، فإن وعي الطالب أو الطالبة حول شعبته يمر عبر الظروف الاجتماعية و الدراسية التي يعيشها كل منهما داخل أسوار الجامعة ؛ و بالتالي تؤثر هذه الظروف في تشكيل الوعي السياسي لدى الطلبة، و اختلافاتهم من شعبة لأخرى و من الذكور إلى الإناث.

إذا كان ما يفرق بين الطلبة هو اختلاف أصولهم الاجتماعية المهنية، و أصولهم الجغرافية، و كذا اختلاف طبيعة و محتويات شعبهم الدراسية، و اختلاف وضعية كل من الطالب و الطالبة داخل المجتمع ؛ فإن ما يجمعهم هو قيمتهم الرمزية و سلطتهم داخل المجتمع، مقابل سلطة و رمزية بقية الفئات و الشرائح الاجتماعية الأخرى، و كذا الظروف المحيطة للحياة الجامعية التي يعايشونها، و وضعيتهم كمستهلكين لثقافة أنتجها آخرون.

إن هذه الظروف الأخيرة هي التي تحدد ابتعاد الطالب و الطالبة عن الممارسة السياسية و النضالية داخل الأحزاب، و ضمن الجمعيات و المنظمات المختلفة، و تبنيهما لموقف (الحياد) ؛ حيث تظهر مواقف و تصورات الطلبة و الطالبات، الانتقادية تجاه المجتمع بمختلف مؤسساته الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الثقافية ؛ حيث يعبر هذا الموقف عن رغبة ملحة في التغيير، و الحرية و التعبير عن الرأي بصوت مسموع، مع رفض أكيد لظروف الواقع الاجتماعي و السياسي السائد.

إن الوضعية الفريدة للطالب الجامعي من حيث هامش الحرية المتاح له ضمن إطار المؤسسة الجامعية، جعله يقف موقف الحذر و التردد تجاه الممارسة السياسية و يتجه نحو جانب - الحياد - الذي يرى فيه موقفا واعيا و ذكيا، بالنظر إلى رأيه و موقفه من المؤسسات و الأحزاب السياسية التي تنشط على الساحة الوطنية ؛ حيث تمثل بالنسبة له صراعا حول مصالح مادية، أنانية و آنية، لا تغريه بالتضحية بحرية و وقته من أجل الانخراط و الالتزام النضالي.

مقابل ذلك، و لما يتعلق الأمر بالاختيار السياسي فإن الطالب الجامعي لا يتردد كثيرا في الاختيار و تحديد البديل الذي يرغب فيه، بغض النظر عن مآلات هذا الاختيار و مدى نجاعته و أبعاده، ما دام يعزز و يحقق متنفسا للتعبير عن الرفض الاجتماعي و السياسي للواقع المعاش.

و لكن الملاحظ هنا أن هذا الاختيار يبدو متأثرا كثيرا بالانطباع الاجتماعي والسياسي العام لدى بقية شرائع المجتمع، بمعنى أن هذا الاختيار يدخل ضمن ملاحظة الحس المشترك ؛ و يعني ذلك بكل تأكيد أن الجامعة الجزائرية كمؤسسة من المفروض أن تنتج الأفكار و الرموز للمجتمع و تؤثر في حراكه و حركيته ؛ أصبحت هي من يتأثر بالمجتمع، فاقدة لفعاليتها و فاعليتها في توجيه أعضائها، و مؤسسة رؤاهم و تصوراتهم، و هذا الانطباع الأخير نجده سائدا لدى الكثير من مثقفينا و إطاراتنا الجامعية.

لذلك فإن الوعي السياسي لدى الطلبة و الطالبات يأخذ بعدا أخلاقيا دينيا، متأثرا بقيم المجتمع السائدة ؛ فهم يتبنون قيما و مبادئ أخلاقية و دينية، تمثل بالنسبة لهم حلا ناجعا و جذريا لإخراج المجتمع من كل أزماته و صراعاته ؛ و هو ما يعني أن الوعي السياسي الطلابي يأخذ شكل الوعي الديني و يندمج معه متخذاً أبعاداً أخلاقية لمنظور سياسي.

هنا تبدو المعرفة العلمية و الأفكار العقلانية التي يتلقاها الطلبة و الطالبات على مقاعد المدرجات، أقل تأثيرا و فعالية من القيم التقليدية و مفاهيم التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها هؤلاء داخل إطار الأسرة، و في خضم الحياة الاجتماعية العامة.

تتحدد أشكال الوعي السياسي لدى الطلبة و الطالبات من خلال عناصر اجتماعية و ثقافية، بالإضافة إلى ظروف الحياة الجامعية بمختلف تفاعلاتها ؛ فالأصول الاجتماعية المهنية و كذا الأصول الجغرافية، تبلور وعيا سياسيا و اجتماعيا حسب اختلافها من فئة اجتماعية إلى أخرى.

كما أن اختلاف الشعب الدراسية من حيث محتوياتها العلمية و أبعادها البيداغوجية، و كذا ظروف اختيار الطلبة و الطالبات لهذه الشعبة أو تلك ؛ يؤثر بشكل مباشر في بناء أشكال الوعي السياسي الطلابي، و اختلاف هذه الأشكال من معهد بيداغوجي إلى آخر ؛ كما أن ظروف الحياة الجامعية بمختلف صعوباتها و عوائقها و محفزاتها، تؤدي إلى صياغة وعي سياسي طلابي يبدو جليا في المواقف و التصورات و الرؤى السياسية و الاجتماعية للطلبة ؛ دون إهمال ظروف الحياة الاجتماعية العامة و تفاعل الطلبة و الطالبات معها كعناصر اجتماعية تتأثر بالمحيط الاجتماعي و السياسي و الثقافي العام.

و أخيرا يبدو تدخل عامل الجنس ذو أهمية و إن كانت تقل عن باقي العوامل المذكورة آنفا ؛ حيث تختلف أحيانا التصورات و الأفكار السياسية و المواقف الاجتماعية و الفكرية بين الطلبة و الطالبات، و ذلك تبعا لموقع و وضعية كل منهما داخل المجتمع ؛ فالمرأة التي تمثلها الطالبة الجامعية لا تزال بعيدة عن التأثير في الفعل السياسي، و المشاركة في صياغة و مآلاته و ترسباته، حيث يبدو دائما أن هذا المجال مغلق في وجهها و حكرا على الذكور، في مجتمع ينظر إلى السياسة كنشاط رجولي بامتياز ؛ هذه الوضعية تجعل الطالبة تتبنى مواقف و تصورات سياسية تختلف أحيانا عن مواقف الطالب و تصورات.

كان بإمكاننا أن نقتصر في بحثنا هذا على دراسة تشخيصية نظرية من وجهة نظر تاريخية اجتماعية لظاهرة الوعي وأشكاله و محدداته، ضمن الإطار المؤسسي الجامعي، و لكن رغم كل صعوبات العمل الأمبريقي الميداني، تناولنا هذا الموضوع مركزين على الفاعل المعرفي (Le sujet épistémique) أي الذات الواعية - و نقصد هنا الطلبة و الطالبات - هذه الذات التي تتعلم الوعي، تكتسبه، و تعبر عنه، و تنتج مواقفها و تصوراتها وفق هذا الوعي.

و أخيرا نطرح بعض التساؤلات الجوهرية، و التي نتطلع أن تكون موضوعات لأبحاث أخرى أكثر عمقا؛ ما هي الأشكال التي يتخذها الوعي السياسي لدى الطلبة و الطالبات عندما تتغير البنى الفكرية و الثقافية السائدة في المجتمع؟ ماذا يعني اندماج السياسي و تداخله مع الديني في منظور الطالب الجامعي؟ لماذا تتخذ التصورات السياسية و رؤى التغيير الاجتماعي لدى الطلبة و الطالبات بعدا أخلاقيا يستبطن قيما تقليدية دينية؟ هل هناك محددات أخرى ثقافية و تاريخية لها تأثير بالغ على أشكال الوعي السياسي لدى الطلبة و الطالبات؟ و هل يعني ذلك أن بنية مجتمعنا مازالت غير قادرة على استيعاب السياسي كوعي متميز تحده مستويات فكرية و عقلانية، ترتبط بأشكال الوعي الأخرى دون أن تذوب فيها و تندمج معها؟.